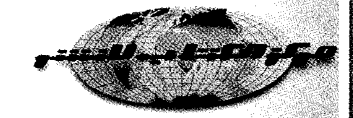


مأمون غريب

مركز الكتاب للنشر

الطبعة الأولى
١٩٩٩



مصر الجديدة : ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون : ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس : ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر : ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت : ٢٧٢٣٣٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

صدق الله العظيم

قال رسول الله ﷺ :

" حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى، وأذانى فى عترتى. ومن يصطنع صنيعًا إلى أحد من ولد عبدالمطلب ولم يجازه عليها، فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقينى يوم القيامة"

صدق رسول الله ﷺ

مقدمة

عندما أتذكر طفولتى فى القرية، أتذكر على الفور ما كنت أسمعه من الأهل عن آل البيت. . . وما ينبغى أن يكون لهم من إجلال فى نفوس المسلمين.

وعندما كنت أتردد على «الموالد» فى القرية، وما فيها من إبهار لطفل صغير. . بأذكارها والأحاديث فيها عن كرامات آل البيت. . كان خيالى يسرح بعيدًا إلى هذا البيت الطاهر، وسيرة جدهم العظيم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، ودعوته الخالدة. . . ومعاناته إلى أن حقق النصر، وانتصر دين الله، وانتشر فى كل مكان.

وزاد حبى للرسول وآل البيت.

أحببت الرسول عليه الصلاة والسلام لشخصيته الآسرة، وحبه للعدل والإحسان والرحمة ومناداته بكل الفضائل والقيم النبيلة.

وكلما امتدت بى أيام العمر. . وقرأت وتأملت ودرست وزاد إعجابى بشخصية الرسول الكريم كلما تعمقت فى دراسة شخصيته الآسرة، وما فى الإسلام الذى نزل عليه من قيم وفضائل واعتقاد وتشريع.

والإسلام يحضنا على حب الرسول. . واقرأ قوله تعالى:

﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقوله:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقوله تعالى:

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩].

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده».

وهناك رواية أخرى تضيف:

«حتى أكون أحب إليه من نفسه».

ومن أحب الرسول لابد أن يحب آل بيته الكرام.

ألم يقل الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ومن قراءاتى عن أهل البيت، وجدت نفسى شديد الإعجاب بمواقفهم، وسلوكياتهم، رغم ما نزل بهم من محن، كما شدتنى تلك البلاغة والفصاحة الذين كانوا يتحلون بهما.

وقد أعجبت بسيرة السيدة الجليلة زينب بنت الإمام على وفاطمة، وحفيدة الرسول عليه الصلاة والسلام وأخت الحسن والحسين.

أعجبنى مواقفها أمام الطغاة، يوم تحدت بعد معركة كربلاء صلف يزيد بن معاوية وأعوانه.

تجسدت الجرأة... والشجاعة... والبلاغة... والتجلد والصبر فى أصعب المواقف وأشدها.

وهى فى نفس الوقت العابدة.. الزاهدة.. كثيرة الصوم.. كثيرة الصلاة.. كثيرة القيام بالليل والناس نيام.. ولأنها كانت واسعة الثقافة، فقد كان يستشيرها أخوتها بما فيهم الحسن والحسين، ومن هنا أطلقوا عليها «صاحبة الشورى».

وفى المدينة كان بيتها ملاذًا لكل صاحب حاجة ومن هنا أطلقوا عليها «أم العواجز».

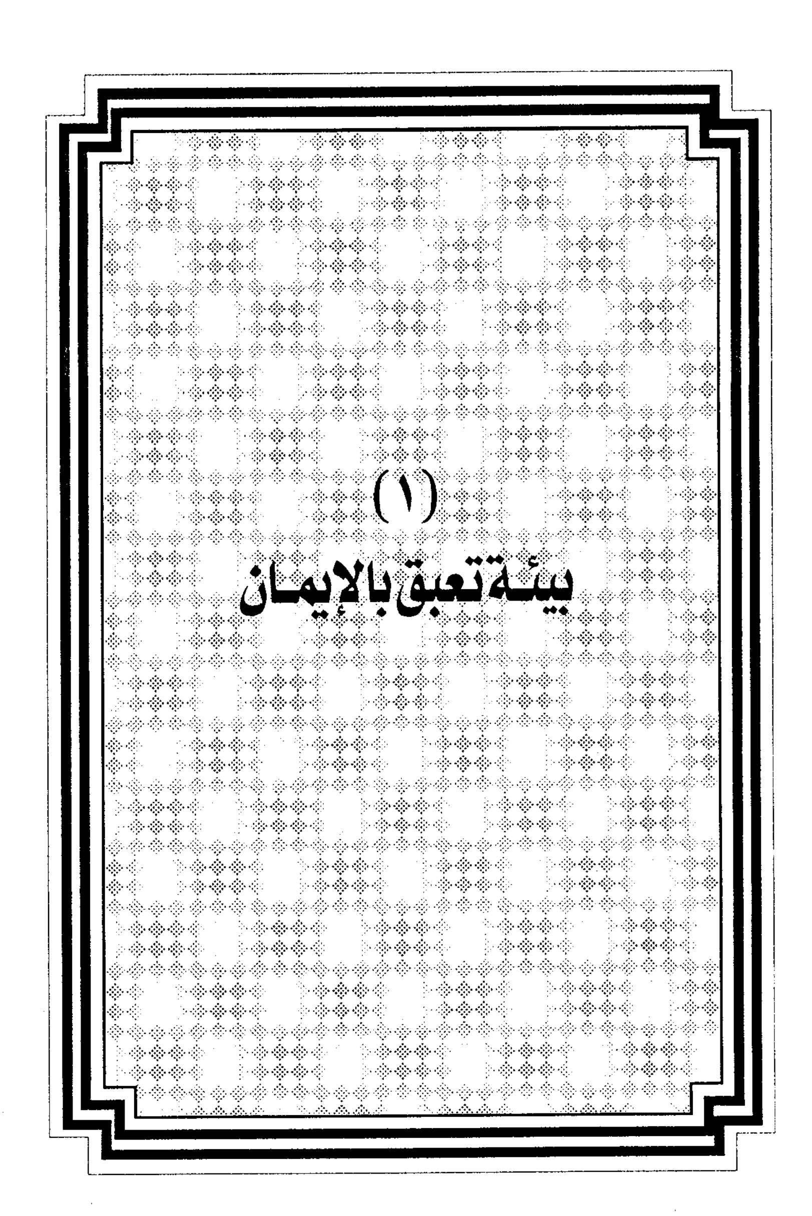
وعندما ختمت حياتها فى مصر، كان والى مصر يعقد مجلس الديوان فى دارها، تلك الدار التى أصبحت مسجدها، ودفنت فيه، وكان كثيرًا ما يستشيرها ومن هنا سميت «رئيسة الديوان».

ولكرمها الشديد وحمايتها لـ «على زين العابدين» ابن أخيها أثناء مرضه فى معركة «كربلاء»، وتعلق نساء آل البيت بها سميت «أم هاشم».

إنها شخصية من أقوى الشخصيات، شخصية بالغة الثراء.. ومواقفها السياسية أثناء وبعد معركة «كربلاء» جعلت الكثيرين من الرواة والمؤرخين يلقبونها «بطلة كربلاء» ومع «بطلة كربلاء» كانت هذه الدراسة التى آمل أن يجد فيها كل محب لآل البيت.. كم كانت عليه عقيلة بنى هاشم من شجاعة وإيمان فى أصعب الظروف.. ويجد فيها الباحث عن الحقيقة كيف استطاع الإسلام أن يكوّن شخصيات بالغة الإبهار من الرجال ومن النساء على حد سواء.

والسيدة زينب بمواقفها وتقواها قدوة... ومثلاً أعلى لكل من يريد أن يعرف كيف تكون المثل العليا، والقدوة الحسنة بصمودها.. وإيمانها.. ورباطة جأشها فى المواقف الصعبة.. إنها حفيدة أعظم رسل الله.. وبنت فاطمة الزهراء، وأخت الحسن والحسين، وبنت الإمام على.. إنها التجسيد الحى للمرأة المؤمنة.

مأمون غريب


(١)
بيئة تعبق بالإيمان

ولدت السيدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء فى شهر شعبان سنة ٦ هجرية ونشأت فى هذه البيئة التى تعبق بالإيمان والتقوى وحب الله.. إنها بيئة أهل البيت وما فيها من جمال الإيمان، وجلال اليقين، وروعة الجهاد فى سبيل قيم الإسلام ومبادئه، والإخلاص للرسالة الخالدة التى جاءت لتغير معالم الحياة ليس فى شبه الجزيرة العربية وحدها، بل فى مختلف أرجاء العالم.

تفتحت عيناها على الحياة فى مدينة رسول الله، وكان الإسلام الذى جاء به جدها العظيم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، قد حقق انتصارات مذهلة على أهل الشرك والضلال، والبغى والعماية.. ولم تعد الحياة كما كانت قبل أن يبشر جدها عليه الصلاة والسلام بالدين الجديد.. وما فيه من توحيد.. وعبادة الإله الواحد.. الذى خلق الحياة والموت.. وخلق كل الموجودات لتوحيده وعباداته والعمل بالشرائع التى أنزلها على رسله وأنبيائه.. وهو الذى سيبعث الناس يوم القيامة ليجازى كل إنسان بما قدمت يداه.. إن خيراً فخير.. وإن شراً فشر.

جدها هو الذى تحمل ما فوق طاقة البشر لينشر الإسلام الذى يبشر بالعدالة والكرامة وحرية الإنسان أناسًا أضناهم الجهل والجهالة، وعبادة ما لا ينفع ولا يضر من أوثان وأصنام.. وهو الذى بشر الناس بحياة جديدة.. العزة فيها لله ولرسوله وللمؤمنين.. لا مكان فى المجتمع الذى ينادى به للقهر أو الخوف أو الطغيان.. الناس جميعًا سواسية.. لا فرق بين إنسان وإنسان مهما كانت جنسيته أو عصبيته أو لونه إلا بالتقوى.. التقوى وحدها هى مقياس التفاضل بين الناس.

الغنى لا يرفع صاحبه درجة.. والفقر لا يخفض صاحبة درجة.. الإنسان هو الإنسان سواء كان غنيًا أو فقيرًا.. قويًا أو ضعيفًا.. التفاضل فى الإسلام يقاس بمقياس ما يقدم الإنسان من عطاء للآخرين بجانب الإيمان وتقوى الله.

الغنى الشاكر الذى يعطى حق الله فى زكاة المال ولا يتباهى ولا يتيه زهوًا بغناه ..قريب من الله.. قريب من الناس بتقواه.

والفقير الصابر الذى يعمل بالأسباب، ويجاهد فى سبيل دينه، ويعمل وفقًا للمبادئ الذى جاء بها الإسلام قريب من الله وقريب من الناس لتقواه وحسن معاملته للآخرين..مجتمع جديد.. يعبق بجلال الإيمان، وروعة اليقين وقداسة ما جاء به من مبادئ وقيم وأخلاقيات.

شاهدت زينب رضى الله عنها وهى تستقبل أيام الحياة التحولات الكبرى التى حدثت فى شبه الجزيرة العربية بفضل الدين الجديد الذى أوحى به الله سبحانه وتعالى إلى جدها محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام. . لقد آمنت بهذا الدين أمها فاطمة، ووالدها على بن أبى طالب. . وكان أول صبى دخل فى الإسلام.

وطالما سمعت فى طفولتها بوقوف جدتها العظيمة خديجة بنت خويلد بجانب الرسول الكريم، وتحملت معه غباء جاهلية مكة وصلف طغاتها الذين كادوا للإسلام ونبى الإسلام.

وربما مس مسامعها فى سنها تلك الصغيرة موقف أمها فاطمة الزهراء، عندما كانت تذهب إلى بيت الله الحرام لتزيل الأقذار التى كان يرميها بغاة مكة عن والدها وهو يسجد لله فى بيته الحرام. . وكلما مرت الأيام. . كلما بدأت تدرك ما يجرى حولها من أحداث وتحولات خطيرة على يد جدها العظيم. . وأنها لترى كيف كان يحتفى جدها العظيم بأخويها اللذين يكبرانها سنًا. . الحسن والحسين. . الإمام الحسن الذى ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة. . وقد سماه جده الحسن. . والحسين الذى ولد فى المدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة. . وقد أسماه جده

الحسين.. وقد ولدت زينت بعد الحسين بعامين فى سنة ستة هجرية، وسماها جدها زينب على اسم خالتها زينب بنت رسول الله ﷺ.

وكانت زينب بنت الرسول حبيبة إلى قلب والدها عليه الصلاة والسلام، وقد تزوجت «أبو العاص بن الربيع».. وكان يحبها وتحبه.. إلا أنه ظل على دين قريش، وعندما وقعت غزوة (بدر).. وقع العاص بن الربيع فى الأسر وعندما سمعت زينب بأسر زوجها، أرسلت إلى والدها قلادة كانت أمها خديجة قد أهدتها لها فى ليلة زفافها، ورأى الرسول عليه الصلاة والسلام القلادة، وتذكر زوجته الغالية الراحلة خديجة وقال لأصحابه:

«بعثت إلىّ زينب بقلادة خديجة لتطلقوا لها زوجها فإن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها قلادتها فافعلوا».

ورأى الصحابة مدى تأثر رسولهم عليه الصلاة والسلام بذكرى زوجته الراحلة، وابنته الحبيبة التى تعيش فى مكة.. فأطلقوا سراح أبوالعاص بغير فداء.

وقبل أن ينطلق أبوالعاص، أخبره النبى أن عليه أن يرسل ابنته زينب إلى المدينة، لأنها لم تعد تحل له لأنها مسلمة وهو مازال على دين قومه.

ورجع أبوالعاص إلى مكة، وهو يذوب خجلاً من حسن معاملة رسول الله له، ومن حب زوجته زينب وإرسالها أعز هدية تملكها لتفديه من الأسر.

رجع أبو العاص إلى مكة، ووفى بعهده إلى الرسول، وأرسل زينب - رضى الله عنها - إلى المدينة.

ومرت الأيام..

وبعد غزوة الأحزاب التى انتصر فيها المسلمون على أعدائهم.. بعد أن اختلف الأحزاب واليهود، وأرسل الله ريحًا عاتيًا اقتلعت خيام جيوش الأحزاب، لم يجد قائدهم أبو سفيان ابن حرب مفرًا من العودة إلى مكة.. بعد أن عجز عن اختراق الخندق الذى حفره المسلمون حول مدينتهم بمشورة سلمان الفارسى..! نقول بعد هذه الغزوة.. كانت هناك قافلة بمكة قادمة من الشام، وعلم المسلمون بذلك فأرسل الرسول جماعة من المسلمين بقيادة «زيد بن حارثة» والتى استطاعت أن تحيط بالقافلة وتستولى عليها.. فهرب بعض رجالها، واستسلم البعض الآخر، وكان من الذين هربوا «أبوالعاص بن الربيع» زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، واتجه نحو المدينة، واستجار بزوجته زينب بنت الرسول على أساس أنها قبل أن تكون زوجته

فهى ابنة خالته، وأجارته زينب رضى الله عنها.. فقد خرجت ونادت المسلمين.

- أيها الناس

إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع.

وسمع أعظم رسل السماء صوت ابنته فقال:

- أيها الناس

هل سمعتم ما سمعت.

قالوا: نعم.

قال: والذى نفسى بيده ما علمت بشئ من هذا حتى سمعت ما سمعتم.

وقال:

المسلمون يد واحدة.. يجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا من أجارت.

وعاد الرسول إلى منزله.. واستقبلته ابنته زينب طالبة منه أن يرد المسلمون ما أخذوه من أبى العاص حتى لا تظن به مكة غدرًا، أو أنه فعل ذلك من أجل زوجته!

وخرج رسول الله إلى صحابته وقال لهم:

«إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا.. فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له، فإنا نحب ذلك.. وإن أبيتم فهو فئ الله الذى أفاء عليكم، فأنتم أحق به».

فقالوا:

يارسول الله: بل نرده.

وأخذ أبوالعاص أمواله وعاد إلى مكة، وأعطى لكل صاحب حق حقه، ثم أعلن إسلامه وسط أهل مكة، وعاد إلى المدينة.. ويعلن أمام الرسول إسلامه ورغبته فى العودة إلى زوجته الحبيبة زينب بنت الرسول عليه الصلاة والسلام.

غير أن زينب ما لبثت أن أحست بالمرض، وانتقلت إلى جوار ربها، وتركت طفلة جميلة هى أمامة.

وقد حزن عليها الرسول حزنًا شديدًا، كما حزن زوجها على تلك الزوجة الوفية التى أحبها حبًا لا يعادله شىء آخر فى الوجود.

وكأن الرسول عليه الصلاة والسلام يريد أن يعوض حنانه الذى فقده برحيل ابنته زينب فى ابنتها أمامه.. فكان يأخذها على كتفه إلى المسجد.. يداعبها ويحمل لها ما يحمل لأمها من مشاعر الأبوة.. حتى أنه عندما أهدى إليه قلادة يمنية قال لنسائه:

ـ لأهدين هذه القلادة إلى أحب أهلى إلىّ.. وباتت نساء الرسول يتخيلن أن التى سوف تفوز بالقلادة عائشة ـ رضى الله عنها ـ ولكن الرسول أهدى القلادة لحفيدته أمامة بنت بنته زينب رضى الله عنها.

ولحب الرسول عليه الصلاة والسلام لابنته الغالية زينب، سمى زينب لابنة فاطمة الزهراء، وعلى بن أبى طالب..!

وكانت زينب بنت فاطمة تذكره بابنته الغالية كبرى بناته زينب رضى الله عنها، التى دفنت فى البقيع فى السنة الثانية من الهجرة.

* * *

إن زينب بنت الإمام على كرم الله وجهه.. والذى واكب مولدها التغيرات الكبرى فى شبه الجزيرة العربية والعالم كله.. كانت صغيرة جداً أثناء هذه التغيرات الجذرية التى أحدثتها الرسالة الخالدة.

ولكن نشأتها فى بيت على كرم الله وجهه.. وما كان عليه من فصاحة وبلاغة وإيمان عميق.. وبطولات سجلها له التاريخ فى أنصع صفحاته مع ابن عمه العظيم عليه الصلاة والسلام.. والتصاقها الحميم بوالدتها فاطمة الزهراء.. بشخصيتها القوية الآسرة، أكسبها الأخلاق الرفيعة، والقيم النبيلة، والبلاغة التى

سنعرفها عندما تمتد بها أيام الحياة، وتواجه بشجاعة منقطعة النظير طغاة بنى أمية بعد استشهاد شقيقها الإمام الحسين.

فقد صهرتها الأيام والمحن والشدائد..! لأنها واجهت الحياة فى سن صغيرة جدًا.. فقد مات جدها العظيم وهى ما تزال فى الخامسة من عمرها بعد أن ملأ الدنيا نورًا وهداية ورشادًا.. وترك ديناً خالدًا بهر الدنيا كلها، وأضاء جنبات المعمورة، وأعز الله به العرب، وتحولوا به من قبائل متنافرة متناحرة لا وزن لها، إلى أمة قوية الجانب، مُهابة السلطان، غزت امبراطورية الروم، وهزمت الفرس، وامتد نور الإسلام إلى مختلف أرجاء الدنيا بما لم يكن يخطر على بال أحد.. وشهدت موت أمها الزهراء بعد رحيل جدها العظيم بعدة شهور.. وقد أوصتها بأخويها الحسن والحسين وأن تكون لهما بمثابة الأم!

الأم وهى ما تزال فى الخامسة من عمرها.. فى الخامسة من عمرها تحمل مسئولية أخويها الحسن والحسين وترعى والدها فى نفس الوقت الذى كان له دوره التاريخى فى التاريخ الإسلامى.. منذ وفاة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إلى أكرم جوار، وانشغاله بجهازه.. ومشاركة ما دار من أحداث، منذ أحداث السقيفة التى آلت من خلالها الخلافة إلى أبى بكر الصديق، ثم مشاركته الإيجابية فى

الحياة السياسية أيام الفاروق عمر بن الخطاب، ومعاصرته لأحداث الفتنة الكبرى إبان حكم عثمان بن عفان رضى الله عنه، إلى أن آلت إليه الخلافة، وما كان فيها من أحداث جسام.. فلم يهدأ للإمام جفن منذ توليه الخلافة إلى أن استشهد على يد عبد الرحمن بن ملجم أحد الخوارج.. بعد أن خاض حروبًا بالغة الصعوبة مع معاوية وجند الشام الذين حاربوا الإمام لأنه عزل معاوية عن ولاية الشام، ورفض معاوية ذلك بحجة الانتقام من قتلة عثمان.. كما خاض معارك مع الخوارج، ومع طلحة والزبير والسيدة عائشة.. مشكلات بالغة القسوة واجهت والدها الإمام على.

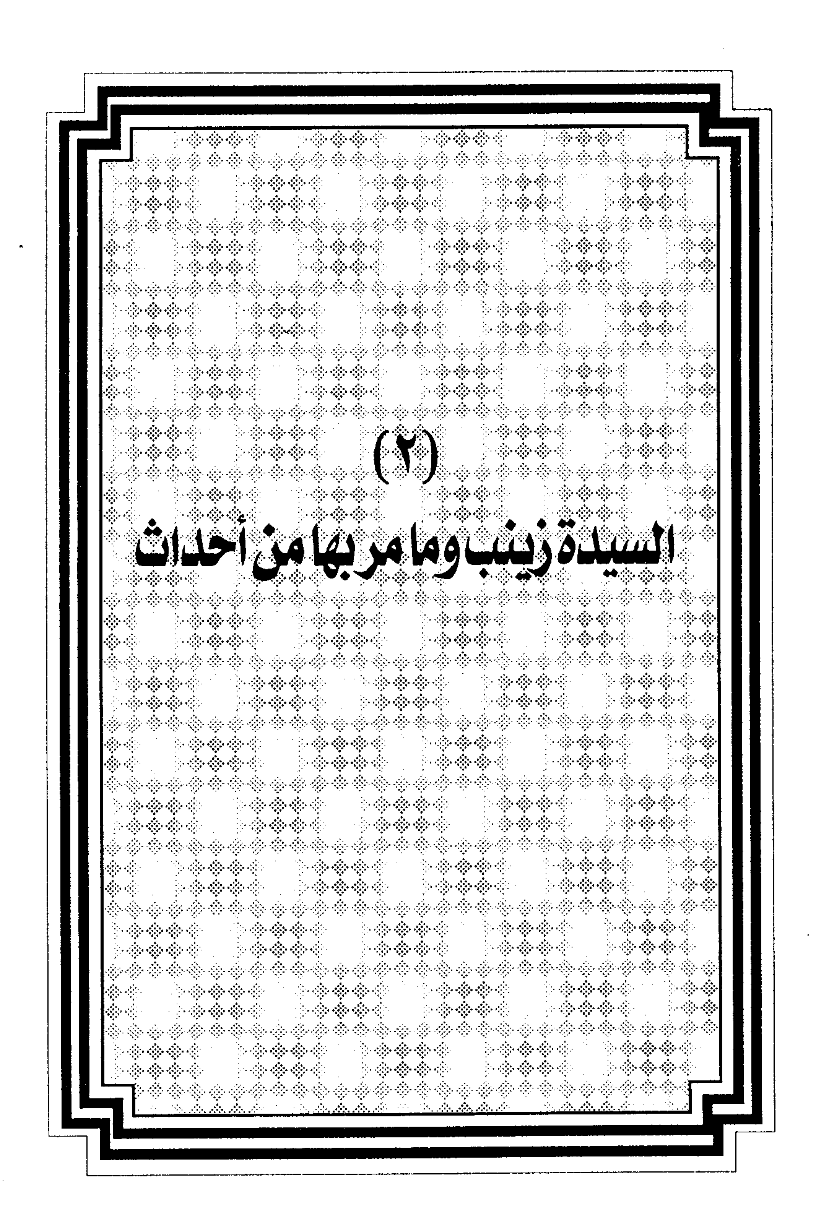
وحروب أهلية مستمرة مع أعدائه والخارجين عن الحكم طوال خلافته التى امتدت قرابة خمس سنوات.

كل هذه الأحداث التى عاشتها السيدة زينب رضى الله عنها مع والدها الإمام، وأخويها الحسن والحسين.. كفيلة بأن تجعلها على درجة عالية جدًا من الوعى الدينى والسياسى.. وهذا الذى سيظهر بشكل واضح جلى عقب تتابع الأحداث السياسية، بعد استشهاد الإمام علىّ كرم الله وجهه، وتنازل أخوها الحسن لمعاوية عن الحكم حتى تتوحد كلمة المسلمين، على أن يؤول الحكم بعد ذلك إلى من يختاره المسلمون عن طريق الشورى، وصدق فيه ما قاله عنه جده عليه الصلاة والسلام.

ـ إن ابنى هذا سيد، ولعل الله عز وجل أن يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين.

ولكن الإمام الحسن - كما يقول بعض المؤرخين - قد مات مسمومًا.. وآلت الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان الذى حولها إلى ملك عضوض.. مما دفع الإمام الحسين بعد ذلك أن يثور على يزيد بن معاوية ليأخذ التاريخ مجرى آخر.. وتتحول الأحداث إلى مسارات جديدة، كان لها نتائجها على مجرى التاريخ الإسلامى.. عندما استشهد الإمام الحسين بكربلاء، ومُثّل بجسده الشريف، وانتزعت رأسه ليطاف بها فى شوارع الكوفة وطرقاتها، ويعبث بها العابثون من طغاة بنى أمية.. مما كان أحد الأسباب الهامة لقيام الثورات ضدهم، وتأليب الناس عليهم، لأن الناس لم تستطع أن تقبل الجرائم التى ارتكبت فى حق الإمام الحسين، وآل بيت رسولهم العظيم ﷺ، مما دفع الأحداث دفعًا إلى طريق أدى فى النهاية إلى القضاء على دولة بنى أمية، وقيام دولة بنى العباس على أنقاضها، وكان للسيدة زينب رضى الله عنها دورًا بالغ الأهمية فى أحداث كربلاء، وما بعدها.

* * *



(٢)
السيدة زينب وما مر بها من أحداث

كانت السيدة زينب رضى الله عنها فى الخامسة من عمرها عندما انتقل جدها عليه الصلاة والسلام إلى جوار ربه الكريم.. ولم تمض سوى شهور قليلة حتى لحقت به أمها فاطمة الزهراء.. ولاشك أنها بإحساس الطفولة شاهدت حزن والدتها عندما انتقل الرسول إلى جوار ربه.. فقد خلت الحياة من أعظم رسل الله.. هذا النبى العظيم الذى غير معالم الحياة فى شبه الجزيرة العربية كلها، والعالم كله بعد ذلك على يد خلفائه.

جاء إلى الحياة والعالم يعمه الظلم والظلام والجهالة، وتركه بعد أن ترك لهم كتاب الله الذى يعصمهم من الذلل إن تمسكوا به، وسنته التى تضعهم فى الطريق الصحيح عندما يتمسكوا بها.

ترك لهم دستورًا سماويًا يجمعهم على الحق، وخير الدنيا والآخرة.. وغادرهم بعد أن صاروا أمة لها دستورها وقوانينها وحاكمها.. وبكل هذا انطلق خلفاؤه يفتحون إمبراطورية كسرى، وينتزعون ممالكاً وشعوبًا من الرومان.. ليستظلوا بظلال الدين الحنيف.

وأخذت زينب رضى الله عنها ترعى إخوتها، وترعى أيضًا والدها الإمام على - كرم الله وجهه ـ رغم سنها تلك الصغيرة.

ولاشك أنها سمعت من والدها عن أحداث السقيفة التى آل الحكم بعدها إلى أبى بكر الصديق، بينما كان والدها مشغولاً بجهاز جدها عليه الصلاة والسلام.

ولا شك أيضًا أنها سمعت كيف استطاع الصديق أن يهزم المرتدين ومانعى الزكاة ومدعى النبوة، ويعيد للمسلمين وحدتهم.. وكيف أنه أطلق إشارة البدء للفتوحات الإسلامية الكبرى عندما أمر جيش أسامة الذى كان قد أعده الرسول ﷺ لمجابهة الروم لأداء مهمته التى كلفه بها رسول الله.. وكان ذلك بداية الانتصارات الإسلامية الكبرى على الروم والفرس.

وانتهت خلافة الصديق بعد عامين وعدة شهور.. وكانت هى ما زالت فى سن الطفولة.. ترعى أخوتها.. وتشرب من والدها ما تسمعه عنه عن جدها العظيم.. وعن الإسلام ومبادئه وفضائله.

وكان والدها مشهوراً بالبلاغة والفصاحة وفهمه لكتاب الله الكريم.. فهو الذى ودع الرسول الكريم بقوله:

«إن الصبر لجميل إلا عنك.. وأن الجذع لقبيح إلا عليك.. وأن المصاب بك لجليل.. وأنه قبلك وبعدك لجلل».

وراقبت زينب رضى الله عنها الأحداث.. فهى شديدة

الذكاء.. شديدة الاهتمام بما يجرى من أحداث بحكم أنها حفيدة الرسول عليه الصلاة والسلام وبنت الإمام على وأخت الحسن والحسين.. وبدأت تعى ما يجرى على الساحة من وهج الانتصارات الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب، ورغم صغر سنها إلا أنها بحكم النشأة والبيئة كانت تسبق عمرها فهما ووعيا بالتغيرات الهائلة التى أحدثها الإسلام على الساحة.

ورأت كيف كان والدها يعلمهم الحرص على الفرائض، وقيام الليل، والزهد والتقوى، فشبت متحلية بكل هذه الفضائل.. من حب لله.. وحب لعباد الله.. وحب للخير، وحرص على احترام الآخرين.. فكانت مثالاً للمرأة المسلمة المتخلقة بأخلاق الإسلام.

ومرت الأيام..

وتقدم عمر بن الخطاب أمير المؤمنين للزواج من أختها أم كلثوم (زينب الوسطى) ووافق والدها على هذا الزواج.. وأنجب منها ابن الخطاب زيد الأكبر ورقية.

وتقدم عبد الله بن جعفر بن أبى طالب للزواج من زينب رضى الله عنها.. ووافق والدها على زواجه منها لقرابته وحسن أخلاقياته وما كان يتصف به من فضائل.. فهو ابن جعفر بن أبى

طالب ابن عم الإمام وهو الذى هاجر بدينه إلى الحبشة، ودافع عن الإسلام دفاعًا مجيداً أمام ملك الحبشة، عندما أوفدت مكة عمرو ابن العاص قبل إسلامه ليوغر قلب النجاشى على المسلمين. !

وفى الحبشة ولد عبد الله. . فكان أول مولود بالإسلام فى الحبشة. . وقد غادرها إلى المدينة فى السنة السابقة للهجرة، وكان الرسول قد تم له فتح خيبر، وعندما شاهد ابن عمه تلقاه فرحًا قائلاً له:

«ما أدرى بأيهما أسر. . بفتح خيبر. . أم بقدوم جعفر».

وذهب جعفر لمؤتة لمجابهة الروم فى الجيش الذى أرسله الرسول عليه الصلاة والسلام بقيادة زيد بن حارثة لمجابهة الروم. . فى أول مواجهة بين الإسلام والروم. . وقال الرسول الكريم لهذا الجيش الذى كان يضم ثلاثة آلاف مقاتل:

«أمير القوم زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبى طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم».

وتوجه الجيش إلى مؤته فى الشام. . وإذا بالروم يحشدون أضعاف أضعاف جيوش المسلمين. . من جنود الروم ومن تحت سيطرتهم من عرب الشام.

وتشاور المسلمون فى الأمر.. هل يمكنهم مواجهة هذا الجيش الضخم المزود بالعتاد والرجال، والمدرب تدريبًا عسكريًا على أعلى المستويات؟!

ووقف ابن رواحة يخطب المسلمين بكل ما أوتى من حب للجهاد وحرص على الاستشهاد وقال:

«ياقوم إن التى تكرهونها (يقصد الشهادة) لهى التى خرجتم تطلبونها. والله ما نقاتل الناس بكثرة عدد ولا بقوة سلاح.. ما قتلناهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به.

انطلقوا، فو الله لقد أتينا يوم (بدر) ما معنا إلا فَرَسَان.. ويوم (أحد) ما معنا إلا فرس واحد!

انطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: إما ظهور عليهم، فذلك ما وعدنا الله ورسوله، وليس لوعد الله خُلْف.

وإما الشهادة فنلحق بالإخوان، ونرافقهم فى الجنان».

وشعر المسلمون بالدافع القوى للاستشهاد وخوض هذه المعركة مهما كانت الصعاب.

ودارت الحرب.. وقتل (زيد بن حارثة).. وحمل الراية جعفر بن أبى طالب.. وقاتل جعفر قتال الحريص على الاستشهاد.. حتى ضرب على يمينه، فحمل الراية بشماله،

فضربه الروم حتى قطعوا يده اليسرى، فاحتضن اللواء بعضدية، فضربوه حتى خر صريعًا وتوجه إلى القيادة «عبد الله بن رواحة» الذى قاتل بشجاعة منقطعة النظير حتى قتل.

وتشاور المسلمون من تكون له القيادة، واستقر الرأى أن يتولاها خالد بن الوليد الذى استطاع التغلب على الموقف، وظهرت عبقرية خالد العسكرية، فقد نظم الجيش تنظيمًا جديدًا حتى أوهم الأعداء أن هناك جيشًا إسلاميًا جديدًا انضم إلى جيوش المسلمين، ثم انسحب عندما أسدل الليل سدوله ليعود بجيشه إلى المدينة، بعد أن أيقن أن المعركة غير متكافئة!

* * *

وفى اليوم التالى للمعركة وبينما خالد بن الوليد ينسحب عائدًا بجيشه إلى المدينة.. كان الناس فى المدينة قد لفت نظرهم الحزن البادى على وجه الرسول عليه الصلاة والسلام.. وتحدث إليهم بعد أن صلى بهم صلاة الصبح وحدثهم عما جرى.. وكأنه يصف ما مر بجيش المسلمين من أحداث.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

أخذ الراية زيد بن حارثة.. فقاتل بها حتى قتل شهيدًا..

وواصل عليه الصلاة والسلام حديثه:

ثم أخذها جعفر.. فقاتل حتى قتل شهيدًا..

وصمت قليلاً عليه الصلاة والسلام وقال:

ثم أخذها «ابن رواحة» فقاتل بها حتى قتل شهيدًا..!

وساد الصمت.. والناس تشرئب بأعناقها إلى حديث النبى الخاتم تريد أن تعرف ما حدث.. واستمعوا إلى خاتم النبيين وهو يقول لهم:

«لقد رفعوا إلىّ فى الجنة فيما يرى النائم، على سرر من ذهب، ورأيت جعفراً يطير مع الملائكة فيها، وجناحاه مضرجان بالدم».

وقال لهم الرسول أيضًا:

ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ورفع يديه داعيًا فقال:

«اللهم فإنه سيف من سيوفك فأنت تنصره».

وخرج الرسول الكريم يواسى أسماء بنت عميس زوجة جعفر فى مصابها.

وبعد ثلاثة أيام.. ذهب الرسول مرة أخرى إلى بيت ابن عمه جعفر ليطمئن على أولاده.

ويصف ابنه «عبدالله» الذى تزوج زينب فيما بعد عن هذه

الأيام التى علقت بذاكرته ولم تستطع الأيام أن تسدل عليها ستار النسيان.

لقد طلب الرسول أن يأتوا إليه بأولاد جعفر قائلاً:

- ائتونى ببنى أخى.

قال عبد الله بن جعفر متذكراً هذه الأيام:

فجيء بنا وكاننا أفراخ، فدعا الحلاق فحلق رءوسنا ثم قال:

«هنيئًا لك.. أبوك يطير مع الملائكة فى الجنة..».

وأخذنا إلى بيته، فأقمنا عنده ثلاثة أيام ضيوفًا عليه.. نطعم ونشرب، وهو يعظنا ويزكينا حتى خفف عنا حزننا.

* * *

لقد أقبل الجيش الذى قاده خالد بن الوليد، وخرج النبى لاستقباله.. وقال لأصحابه:

- خذوا الصبيان فاحملوهم.. واعطونى ابن جعفر وحمل بين يديه عبد الله.

وعندما ظن المسلمون أن الجيش جاء فارًا عن القتال عابوا عليه الانسحاب واستقبلوه بقولهم:

- يا فرار.. فررتم من أجل الله الذى كتب لكم..

فقال لهم عليه الصلاة والسلام:

ـ ليسوا بالفرار.. ولكنهم الكُرّار إن شاء الله.

لقد عاد جيش مؤتة إلى المدينة فى جمادى الآخرة من السنة الثانية من الهجرة.. وكان عمر زينب رضى الله عنها ثلاث سنوات.

وكان عبد الله بن جعفر طفلاً حمله الرسول بين يديه.

وها هى الأيام تمر..

وها هو عبد الله يتقدم للزواج من زينب.. وها هو والدها على بن أبى طالب يرحب بهذا الزواج لأنه ابن عم والد عبد الله جعفر بن أبى طالب.. ولبلاء جعفر وحب الرسول لجهاده العظيم فى سبيل الله..

كان الزواج متكافئًا..

كان عبد الله مثالاً للسخاء والكرم والتقوى..

وكانت زينب مثالاً للطهر والبلاغة والطاعة.

وقد أنجبت منه جعفر وعلى وعون وبنتين أم كلثوم وأم عبد الله.

* * *

والذين تحدثوا عن حياة السيدة زينب رضى الله عنها.. تحدثوا عن ورعها وزهدها وطول قيامها، وتقواها.. ولم يتعرض هؤلاء لصورتها، إلا بعد أن ظهرت على مسرح الحياة السياسية أثناء مأساة كربلاء.. فمن رأها تحدث عن هذه الصفات التى تتصف بها من الجرأة والشجاعة فى مواجهة الطغاة، كما تحدثوا عنها وعن جمالها الأنثوى، فقد وصفها عبدالله بن أيوب الأنصارى بقوله:

- فو الله ما رأيت مثلها وجها كأنه شقة القمر.

وقال عنها الجاحظ:

أنها تشبه أمها لطفًا ورقة، وتشبه أباها علمًا وتقى.

ويروى الرواة كيف كانت على ثقافة دينية رفيعة، ويسوقون أمثلة لذلك.

ومن هذه الأمثلة شرحها للحديث النبوى الشريف:

«الحلال بيّن و الحرام بيّن»

فقد أخرج ابن حميد فى مسنده واليافعى فى شأنه قالا:

جلس الحسن والحسين ابنا الإمام على رضى الله عنهم يتذكران يومًا ما سمعاه من جدهما ﷺ:

«الحلال بيّن والحرام بيّن.. وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه.. ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام.. كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه.

ألا وان لكل ملك حمى.. ألا وان حمى الله محارمه.. ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله.. وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب».

فقالت:

اسمعا ياحسن وياحسين إن جدكما رسول الله ﷺ مؤدب بأدب الإله. فإن الله أدبه فأحسن تأديبه، فقد قال ﷺ:

«أدبنى ربى فأحسن تأديبى».

كما هيئ ذلك من رب العالمين لحمل رسالة الدين، والدعوة إلى عبادة الله العظيم، الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير.

ومن كجدى النبى العربى، الهاشمى القرشى الذى اصطفاه الله تعالى، واختاره ليبين للناس طريق الحياة من خير وشر.

ثم قالت:

الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات.

فهناك ثلاث درجات فى الدين:

حلال وحرام ومشتبه

أما الحلال فهو ما أحله الله تعالى بأن جاء القرآن الكريم بحله، وبينه الرسول فى سنته.. كحل الشراء والبيع وكإقامة الصلاة فى أوقاتها والزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، وترك الكذب والنفاق والخيانة.

وأما الحرام فهو ما حرمه القرآن وهو على النقيض من الحلال.

وأما المشتبه فهو الشيء الذى ليس بالحلال ولا بالحرام.

والمؤمن الذى يريد لنفسه السعادة فى الدنيا، والنعيم فى الآخرة ما عليه إلا أن يؤدى ما أوجب الله تعالى، ويسير فى طريق القرآن الحكيم، ويقتدى بجدى النبى ويتأسى به ويبتعد عن طريق الشبهات ما استطاع. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، وأصبح دينه صحيحاً وعرضه نقيًا.

وأما من سار فى طريق الشبهات فلا يأمن من أن تزل قدمه فيقع فيما حرمه الله. وأن لكل ملك حمى بجوار ملكه، وحمى ملك الملوك محارمه.

ولقد قال النبى ﷺ:

«اتق المحارم تكن أعبد الناس».

وأن الله تعالى أودع الإنسان مضغة وجوهرة، إذا صلحت فإن الجسد يكون صالحًا نقيًا، وهى القلب، فإذا كان سليمًا فإن صاحبه يكون يقظًا لأمور دينه ومبادئ شريعته. يرى السعادة كلها فى الاستقامة على هدى القرآن والسنة، ومن سلك هذا السبيل يكون يوم القيامة من الفائزين.

إن حياتنا فى الدنيا مرحلة من المراحل التى توصل الإنسان إما إلى الجنة وإما إلى النار، وليس بعد الموت عقاب، ولا بعد الدنيا إلا الجنة أو النار.

ويبدو من كلام السيدة زينب، هذا عمق فهمها لجوهر الإسلام.. وعمق نظرتها للحلال والحرام، وما بينهما من أمور يجب تجنبها حتى لا يقع الإنسان فى الحرام.

حتى أن عليا زين العابدين.. كان يقول لها:

«ياعمتاه أنت بحمد الله عالمة غير معلمة، وفاهمة غير مفهمة».

وهو يعنى أنه لتقواها يفيض الله عليها بالعلم لقوله تعالى:

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٨٢]

وكان لتربيتها - رضى الله عنها - أثر كبير فى تكوين شخصيتها.. تلك الشخصية التى طبعت على تقوى الله، وعلى

حب الخير للناس.. كل الناس.. وحبها للقيام للعبادة فى الليل والناس نيام.

وكيف لا تكون كذلك.. وقد رأت حرص والدها على كثرة العبادة لله.

وكيف لا تكون كذلك وقد رأت أمها فاطمة الزهراء أحرص الناس على التأسى بوالدها العظيم، والقيام بالعبادة كما كانت تراه يقوم بها.. أو على الأقل الاقتداء به.. لأن النبى عليه الصلاة والسلام لم يكن فى استطاعة أحد أن يكون صورة منه فى العبادة والتقوى، لأنه أعرف الناس بخالقه.

أليس هو القائل عليه الصلاة والسلام:

«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون.

أطت السماء وحق لها أن تئط.. ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك ساجد لله.

والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفُرُش ولخرجتم إلى الطرقات تجأرون».

وكان عليه الصلاة والسلام يقول:

« أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له».

وقال جابر بن عبد الله فيما رواه البخارى:

«جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم.

وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان.

فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً.

فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعى دخل الدار، وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة.

فقالوا: أدِّلوها له يفقهها.

قالوا: فالدار الجنة والداعى محمد.

فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله عزّ وجلّ، ومحمد فرق بين الناس».

ومن فى الناس مثل جدها العظيم، الذى كان يسمع القرآن من ابن مسعود ذات يوم، فلما بلغ قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١].

فإذا بالرسول يبكى ويقول لابن مسعود:

«امسك».

إنه الإحساس بجلال الله جل جلاله.

والرسول العظيم هو القائل:

«أتانى جبريل عليه السلام فقال:

- يا محمد.. عش ما شئت فإنك ميت.. وأحبب من شئت فإنك مفارقه.. واعمل ما شئت فإنك مجزى به. واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وأن عز المؤمن استغناؤه عن الناس».

كانت عقيلة بنى هاشم تعى كل ذلك.. وكانت تعمل بكل ما جاء به جدها العظيم من فضائل وقيم وعبادات الإسلام، حتى تكون قريبة من ربها.. فقد كانت شديدة الحب لله.. شديدة الحرص على العمل بكل ما يقرب منه.

وكثيراً ما كانت تناجى ربها بقولها:

«يا من لبس العز وتردى به، سبحان من تعطف بالمجد وتكرم، سبحان من لا ينبغى التسبيح إلا له جل جلاله. سبحان من أحصى كل شىء عدداً بعلمه وخلقه وقدرته، سبحان ذى العزة والنعم، سبحان ذى القدرة والكرم. اللهم إنى أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك

الأعظم، وجدك الأعلى، وكلماتك التامات التى تمت صدقًا وعدلاً، أن تصلى على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين، وأن تجمع لى خير الدنيا والآخرة.

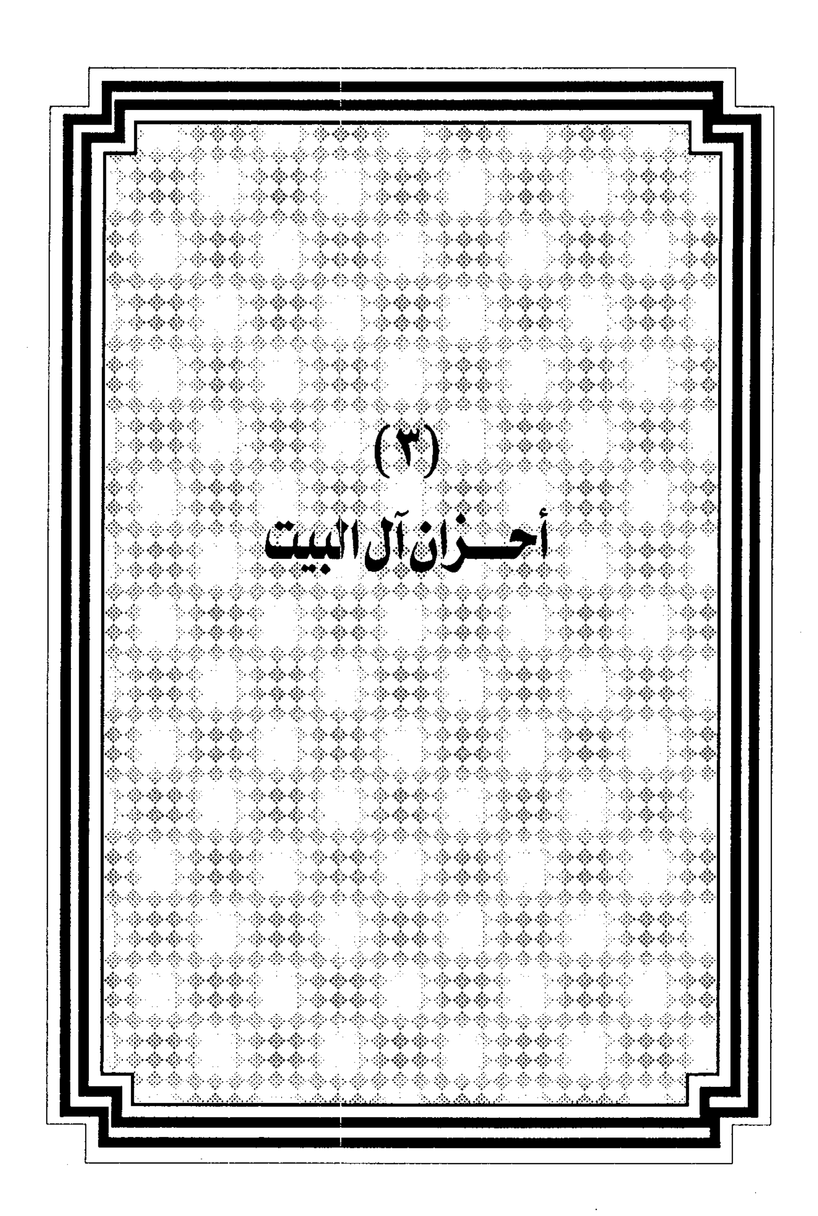
اللهم أنت الحى القيوم أنت هديتنى وأنت تطعمنى وتسقينى.. وأنت تميتنى وتحيينى فارحمنى يا أرحم الراحمين».

كما كانت تدعو بهذا الدعاء:

«يا عماد من لا عماد له.. ويا ذخر من لاذخر له.. ويا سند من لا سند له.. ويا حرز الضعفاء، ويا كنز الفقراء، ويا سميع الرجاء، ويا منجى الغرقى، ويا منقذ الهلكى، ويا محسن يا مجمل، يا منعم يا متفضل، أنت الذى سجد له سواد الليل وضوء النهار وشعاع الشمس وحفيف الشجر ودوى الماء.

يا الله الذى لم يكن قبله قبل، ولا بعده بعد، ولا نهاية له ولا حد، ولا كفء ولاند، وبحرمة اسمك الذى فى الادميين معناه، المرتدى بالكبرياء والنور والعظمة.. محقق الحقائق ومبطل الشرك والبوائق، وبالاسم التى تدوم به الحياة الدائمة الأزلية التى لا موت معها ولا فناء، وبالروح المقدمة، وبالسمع الحاضر، والبصر النافذ وتاج الوقار، وخاتم النبوة، وتوثيق العهد.. يا الله لا شريك لك».

* * *


(٣)
أحـــزان آل البيت

عاصرت السيدة زينب رضى الله عنها الأحداث التى حدثت فى خلافة عثمان بن عفان..

وقد كان والدها أحد المرشحين الستة لخلافة الفاروق عمر.. إلا أن الأمر استقر لعثمان.. واستقبل الناس عصرُ عثمان فى أول الأمر استقبالاً حسنًا.. فلم يكن عثمان بشدة عمر.. بل كان سهلاً لينًا فأحبه الناس.. كما أن الفتوحات الإسلامية نشطت فى أول عهده إتمامًا لما قام به الفاروق.. بل أنشئ فى عهده أول أسطول عربى جابه أسطول الرومان وهزمه فى معركة «ذات الصوارى».

وكان تاريخ عثمان تاريخ مشرق مجيد.. فقد كان شديد السخاء، بذل من ماله الكثير، ويكفى أنه جهز جيش العسرة بألف بعير وخمسين فرسًا، وما أكثر ما قدم للدعوة الإسلامية من مال، وقد روى عن ابن عباس كما روى ذلك ابن الأثير فى (أسد الغابة) أن قوله تعالى:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[الحجر: ٤٧]

نزلت فى عشرة : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة

والزبير وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد وعبد الله ابن مسعود.

وكان عثمان أيضًا من كُتّاب الوحى.

والتاريخ لن ينس له أن ضوء الإسلام قد امتد فى عصره إلى أرمينيا والقوقاز وغير ذلك من الأماكن التى امتد إليها الفتح الإسلامى.

إلا أن الفتنة الكبرى قد اندلعت بعد سنوات من حكمه، نتيجة روافد كثيرة.. منها أمره أن يتولى عبد الله بن أبى سرح بدلاً من عمرو بن العاص، وكان عبد الله بن أبى سرح أخوه فى الرضاعة، كما أن عبد الله بن أبى سرح هذا كان النبى عليه الصلاة والسلام قد أباح دمه بعد أن ارتد عن الإسلام، ثم استشفع بعثمان ـ رضى الله عنه ـ وعفا عنه الرسول الكريم.

وكان الرسول قد صمت عندما دخل عثمان ومعه عبد الله لعل أحدًا من أصحابه يقوم فيقتله.. وطال الصمت، ولم يتحرك أحداً.. وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام لأصحابه.

ـ ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه.. عندئذ سأله أحد الأنصار.

ـ هلا أومأت يارسول الله!

فقال عليه الصلاة والسلام:

- لا ينبغى للنبى أن يكون له خائنة الأعين..

كما أن الروافد التى مهدت للثورة على عثمان كثيرة منها أنه أباح لبعض الصحابة التنقل بين الأمصار، وكان عمر يرفض ذلك خشية الفتنة.. وقد أدى ذلك إلى ثراء عريض للبعض، وما تبع هذا الثراء من ترف، فعرفت المجتمعات فى الجزيرة العربية الغناء والطرب مما أثار عليهم حفيظة الفقراء.. بجانب الفتنة التى أحدثها عبد الله بن سبأ الذى أطلق عليه الرواة ابن السوداء، وهو يهودى من اليمن ادعى الإسلام ليكيد له.. وكانت له آراء هدامة منها قوله:

- عجبت ممن يصدق برجوع المسيح ولا يصدق برجوع محمد.

وكان يردد: إذا كان لكل نبى وحى، فوحى محمد هو علىّ.. وبالتالى فهو أولى بالخلافة وأحق من الآخرين.

ومن الروافد للفتنة أيضًا توليته أقاربه للمناصب الهامة.. كل هذه الأمور وغيرها أهاجت الناس، وأدت إلى الفتنة الكبرى التى راح ضحيتها ثالث الخلفاء الراشدين.

أو على حد قول جلال الدين السيوطى:

«قتل عثمان مظلومًا.. ومن قتله كان ظالمًا ومن خذله كان معذورًا».

ورغم أن عثمان كان قد تزوج ابنتى رسول الله «رقية وأم كلثوم» وهما (خالتا السيدة زينب).. وابنتا عم على بن أبى طالب، إلا أن عثمان رضى الله عنه كان عاتبًا على «علىّ» عندما بدأ الثوار يتدفقون على المدينة.. رغم أن «عليا» لم يحرض أحدًا، ولكن الأمور كانت تسير فى طريق مسدود.

إلا أن عثمان كان عاتبًا على علىّ بن أبى طالب.. وقد أورد صاحب الإمامة والسياسة أن عثمان خرج إلى المسجد فإذا هو بعلى وهو شاك معصوب الرأس فقال عثمان:

ـ والله يا أبا الحسن ما أدرى أشتهى موتك أم أشتهى حياتك.

فوالله لئن مت ما أحب أن أبقى بعدك لغيرك لأنى لأجد منك خلفًا.. ولئن بقيت لا أعدم طاغيًا يتخذك سلمًا وعضداً بعدك كهفًا وملجأ لا يمنعنى منه إلا مكانه منك ومكانك منه..

فأنت منى كالابن العاق من أبيه. إن مات فجعه وإن عاش عقه. فأما سلم فنسالم وإما حرب فنحارب.. فلا تجعلنى بين السماء والأرض. فإنك والله إن قتلتنى لا تجد منى خلفًا. ولئن قتلتك لا أجد منك خلفًا. ولن يلى هذا الأمر بادئ فتنة.

فقال عليّ:

إن فيما تكلمت به لجوابًا ولكني مشغول بوجعي. فأنا أقول كما قال العبد الصالح: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

فقال مروان: إنا والله إذن لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون في هذا الأمر خير لمن بعدنا.

فقال عثمان: اسكت ما أنت وهذا.

وعندما أحكم الحصار حول بيت عثمان حاول عليّ بن أبي طالب فك الحصار عن الخليفة وقال للناس الذين منعوا عن الخليفة الطعام والشراب.

أيها الناس: إن الذى تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين. لا تقطعوا عن الرجل المادة فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى.. وما تعرض لكم هذا الرجل فيما تستحلون حصره وقتله!

ولكن الثوار لم يستمعوا للإمام.. وانتهى الحصار باستشهاد ثالث الخلفاء الراشدين.

وبايع الناس الإمام عليّ خليفة للمسلمين.

وانتقل الإمام إلى الكوفة لتكون مقر خلافته.. وذهبت معه السيدة زينب رضى الله عنها وزوجها.

كانت السيدة زينب ترقب هذه الأحداث، وتتابع ما يجرى.. ولكن لم يكن لها دور فى هذه الأحداث.. ولكنها كانت تألم لما يحدث من أمور تفتت وحدة المسلمين وعندما تولى والدها الخلافة.. لم يهدأ يومًا.. ولم يستقر يومًا.. فقد اندلعت الأحداث، وتفجر الموقف فى العالم الإسلامى.. واندلعت الحرب الأهلية بين المسلمين، وتوقفت الفتوحات الإسلامية.

والسيدة زينب وهى تعيش مع والدها الإمام.. وترى ما ترى من أحداث.. وترى متاعب والدها وما يلقاه من تمرد وخروج عن الشرعية كان يؤرقها ويثير أحزانها كما كان يثير أحزان أخويها الحسن والحسين.

فها هى السيدة عائشة وطلحة والزبير يخرجون على الإمام ويواجههم فى معركة الجمل الذى ذهب فيها عشرات المئات من ضحايا المسلمين.

وخرج على الشرعية معاوية بن أبى سفيان وكان حاكمًا على الشام منذ خلافة الفاروق، فأحكم سيطرته على الشام،

وعندما عزله الإمام رفض هذا العزل بحجة أنه يريد الثأر من قتلة عثمان. . وكانت معركة (صفين) الذى كاد أن ينتصر فيها الإمام لولا خدعة رفع المصاحف على أسنة الرماح، وخدعة التحكيم، حيث اختار معاوية الداهية عمرو بن العاص، واختار على أبا موسى الأشعرى واتفق الاثنان على خلع كل من علىّ ومعاوية، وأن يُترك الأمر شورى بين المسلمين لاختيار خليفتهم.

وأعلن أبو موسى الأشعرى خلع الإمام وأعلن عمرو تثبيت معاوية.

ويذكر ابن الأثير أن سعد بن أبى وقاص كان حاضراً يوم إعلان الحكمين أمرهما فقال لأبى موسى:

- ما أضعفك عن عمرو ومكائده!

فقال أبو موسى:

- فما أصنع. . وافقنى على أمر ثم نزع عنه.

فقال ابن عباس:

- لا ذنب لك يا أبا موسى الذنب لمن قدمك فى هذا المقام.

فقال:

- غدر فماذا أصنع؟

فقال ابن عمر:

ـ انظروا إلى ما صار إليه أمر هذه الأمة.. صار إلى رجل لا يبالى ما صنع وإلى آخر ضعيف.

وعندما قرر الإمام مجابهة معاوية خذله الخوارج الذين رفضوا التحكيم وخرجوا على الإمام.

واشتدت هموم الإمام..

واشتدت هموم آل البيت..

فأتباع الإمام يناقشونه فى كل صغيرة وكبيرة.. على عكس معاوية الذى كان أتباعه أشبه بالخاتم فى أصبعه.

حتى أن الإمام قال للناس عقب خدعة التحكيم.

«الحمدلله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجلل.. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. أما بعد:

فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم.. ولقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة بأمرى.. ونحلت لكم رأيى.. لو يطاع لقصير أمر، ولكن أبيتم إلا ما أردتم فكنت وأياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتهـم أمـــرى بمنعـرج اللـــوى

فلـم يستبينوا الأمر إلا ضحى الغد

فلما عصـونى كنت منهم وقد أرى

مـــكان الهـدى أو إننى غير مهتـــد

وهل أنـا إلا من غـزيـــة إن غوت

غـويـت، وإن ترشـد غزيـة أرشـــد

وتتابعت هموم الإمام وآل البيت..

الخوارج أخذوا يناصبونه العداء..

وشيعته تتخاذل عنه..

ومعاوية يزداد قوة ونفوذا..

وكان عليه أن يحارب الخوارج.. ويحارب جيش الشام الذى يقوده حاكمه القوى معاوية بن أبى سفيان.

وكان الأمر يسيرًا لو أن أتباعه من أهل العراق يطيعون أوامره ويمتثلون لقراراته.. ولكنهم على العكس من ذلك تمامًا.. إنهم يجيدون الجدل.. ويثيرون المشاكل.. ويضعون أمامه العراقيل.

وكانت ظروف الحياة قد تغيرت أيضًا.

فالإمام يريد أن يعيد الأيام إلى ما كانت عليه أيام الرسول والشيخان.. أيام الطهر والنقاء والعمل للآخرة.. والحياة الجديدة.. بعد الانتصارات والغنائم واتساع رقعة الدولة وتدفق المال.. تغرى الناس إلى التكالب على الحياة والاستمتاع بمباهجها.. وهذا ما جعل كفة معاوية ترجح بعض الشيء.

الإمام لا يعرف أساليب المكر والدهاء والخديعة فهو متمسك بقيم الدين وفضائله.. بينما كان معاوية يجيد فن المراوغة والدهاء والوصول إلى أهدافه بأى وسيلة.

وشعر الإمام بأن الأمور تسير فى طريق وعر.

وأصحابه يتخلون عنه، حتى ملّ هؤلاء المتخاذلين من أتباعه.. حتى أنه واجه الناس فى الكوفة وقد تخاذلوا عن نصرته.. ووضع المصحف على رأسه وقال:

«اللهم إنهم منعونى أن أقوم فى الأمة بما فيه (المصحف) فاعطنى ثواب ما فيه.

اللهم إنى مللتهم وملونى، وأبغضتهم وأبغضونى، وحملونى على غير طبيعتى وخلقى وأخلاق لم تكن تعرف لى.

اللهم فأبدلنى بهم خيرًا منهم، وأبدلهم بى شراً منى، اللهم أمت قلوبهم موت الملح فى الماء».

إلى هذا المدى بلغ الحزن بالإمام.

وكان هناك ثلاثة من الخوارج قد اتفقوا على قتل الإمام على ومعاوية وعمرو بن العاص.. واتفقوا على موعد محدد لقتل الثلاثة وهو فجر اليوم السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠هـ.

وكان المتآمرون الثلاثة هم:

عبد الرحمن بن ملجم ليقتل الإمام..

والبرك بن عبد الله ليقتل معاوية..

وعمرو بن بكر ليقتل عمرو..

ولم ينجح البرك بن عبد الله فى قتل معاوية فالضربة لم تكن قاتلة.

وتخلف عمرو بن العاص، فضرب الرجل من صلى بالناس ظناً منه أنه عمرو.. وكان اسمه خارجه.

بينما أصاب سيف عبدالرحمن بن ملجم المسموم الإمام، فتسبب فى قتله بعد فترة وجيزة.

وقبض على ابن ملجم، وأخذوه إلى الحسن.

وخرجت أم كلثوم بنت الإمام على.. والتى كانت زوجة لعمر بن الخطاب، وعلمت بما حدث لوالدها فقالت لابن ملجم.

- أى عدو الله.. لا بأس على أبى، والله يخزيك.

قال: على من تبكين. والله لقد شريت السيف بألف وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقى منهم أحد!

قالت أم كلثوم وهى تبكى أباها:

- لا بأس على أمير المؤمنين.

قال لها هذا الأحمق الغبى:

- ما هو أمير المؤمنين ولكنه أبوك.

ووسط هذه الظروف البالغة الأسى.. جاء الطبيب ليرى جرح الإمام، وعرف أنه لا أمل فى الشفاء..

وسأل الناس الإمام:

- أنبايع الحسن؟

قال لهم:

- ما آمركم ولا أنهاكم.. أنتم أبصر بأموركم.

وكرروا السؤال فأجاب:

« لا . . أترككم كما ترككم رسول الله. فإن يرد الله بكم خيرًا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله» .

وطلب الإمام أولاده وأوصاهم أن يتركوا له الحكم فى قاتله إن شفاه الله، فإن استشهد فيقتل ولا يمثل به.

* * *

هذه هى الأحداث التى مرت بالإمام وآل بيته.

ولابد أن السيدة زينب رضى الله عنها. . عانت كما عانى والدها وإخوتها الحسن والحسين وأم كلثوم.

إنها أمور بالغة الأسى والصعوبة والأحزان.

فالإمام. . وآل بيته عانوا ما عانوا طوال مدة الخلافة التى استمرت أربع سنوات وعدة شهور. . لم يهدأ له فيها بال. . ولا عرف طعم الاستقرار.

ولا أحد يدرى بما ستكون عليه الحياة لو لم تحدث هذه الأحداث التى حدثت فى عهد الإمام. . !

لا شك أن الأيام لو صفت له لكانت امتدادًا لأيام الرسول والشيخان. . فيها جلال الإيمان وروعة العدل، وألق الانتصارات.

ولا شك أن وصيته التى أوصى بها قبل أن يلاقى ربه مثالاً لعظمة الإمام.. وهذه الوصية أوصى بها أولاده.. ومنهم بالطبع السيدة زينب رضى الله عنها.

قال الإمام فى وصيته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به على بن أبى طالب:

« أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ثم إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدى بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا.. فإننى سمعت أبا القاسم ﷺ يقول:

إن صلاح ذات اليمين أفضل من عامة الصلاة والصيام.

انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب.

الله الله، فى الأيتام فلا يضيعن بحضرتكم.

والله والله فى جيرانكم.. فإنهم وصية نبيكم ﷺ ما زال يوصى بالجار حتى ظننا أنه سيورثه.

والله الله فى القرآن. فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم.

والله الله فى الصلاة، فإنها عمود دينكم.

والله الله فى بيت ربكم فلا يخلو ما بقيتم.

والله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم.

والله الله فى الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب.

والله الله فى ذمة نبيكم (أهل الكتاب) فلا يُظلمن بين أظهركم.

والله الله فى أصحاب نبيكم، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم.

والله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معايشكم.

والله الله فيما ملكت إيمانكم.

الصلاة الصلاة، لا تخافن فى الله لومة لائم.. فإنه يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم.

وقولوا للناس حسنًا كما أمركم الله.

ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فيولى الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق.

وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان.. واتقوا الله إن الله شديد العقاب.. حفظكم الله من أهل بيت.. وحفظ فيكم نبيكم.. استودعكم الله. وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله».

بهذه الوصية الغالية أوصى الإمام أولاده..

ليس فى هذه الوصية تكالب على دنيا، ولا جرى وراء ثراء أو نفوذ أو جاه.. ولكنها كلها حسن الخلق مع الله ومع الناس، والعمل بكتاب الله وسنة خاتم رسله وأنبيائه.. والاقتراب مما أحل الله، والبعد عما حرم الله.

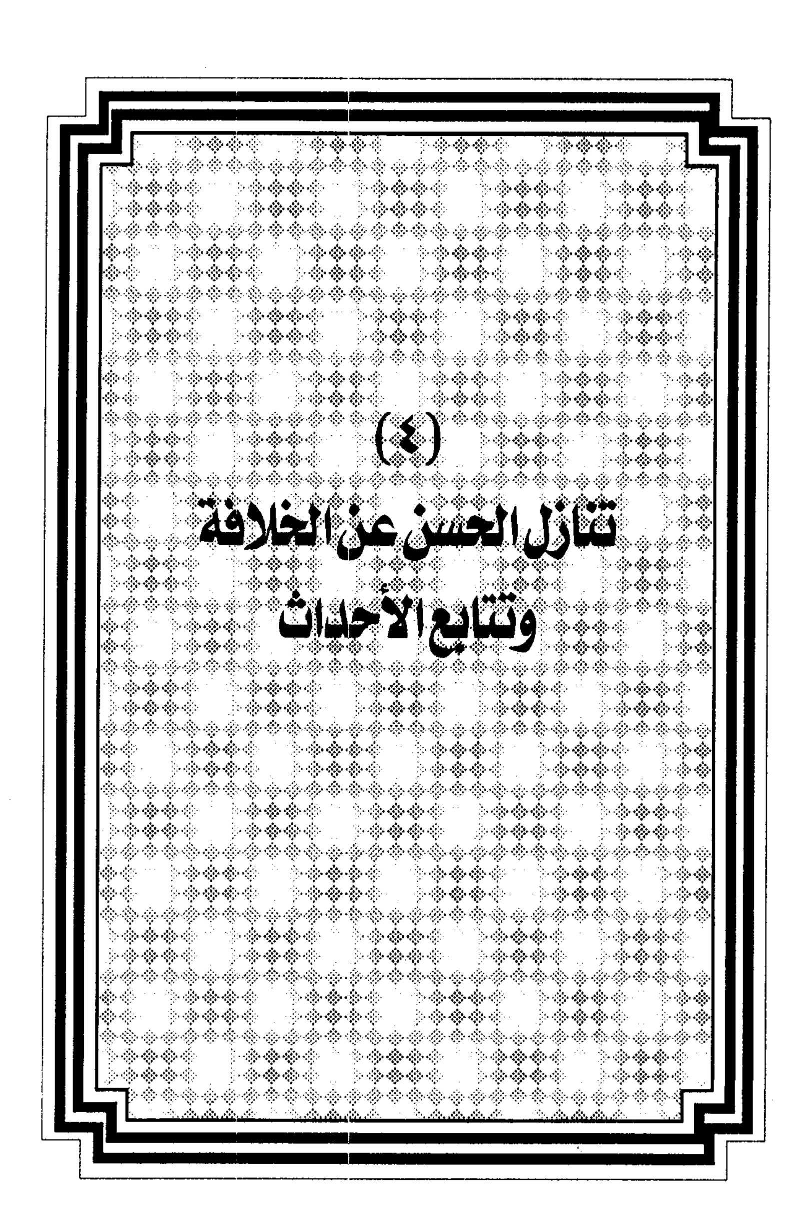
إنه رغم آلام الجراح، والوهن الذى أصابه من الطعنات الغادرة.. إلا أنه لم يخرجه الغضب عن طوره.. فلا طلب من أولاده الانتقام من قاتله، ولا أن تخضب أيديهم بدمائه بل كانت وصيته الجليلة كيف يكونون مع الله، ويعيشون له وبه.. فلا يأذون جارًا،.. ويحافظون على الصلاة والصيام والزكاة وكل فرائض الإسلام.

غرس فى أولاده القيم والفضائل الإسلامية الرفيعة وكانت آخر كلماته قبل أن يوارى جسده التراب ترديده: لا إله إلا الله. فلم يكن غريبًا أن يشب أولاده على حب الله ورسوله، والإيثار على النفس، والتضحية بالروح فى سبيل الله.

* * *

ووسط الظروف الصعبة التى مر بها الإمام والتى انتهت باستشهاده، حرص أولاده الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم أن يكونوا كما كان والدهم يتمنى لهم.. وأن يكونوا قدوة حسنة للمؤمنين.. فهم أولاد فاطمة الزهراء.. وهم حفدة خاتم الأنبياء والمرسلين، خير من سارت له على الأرض خطى.

* * *



(٤)
تنازل الحسن عن الخلافة وتتابع الأحداث

عندما وسد الإمام عليّ التراب بايع أهل الكوفة الإمام الحسن للخلافة.. وكان الحسن فى السابعة والثلاثين من عمره.. شابًا فيه سمات الصالحين، كما أن فيه مهابة لشبهه بالرسول عليه الصلاة والسلام.. والناس يعرفون أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال عنه:

«اللهم إنى أحبه فأحبه».

والرواة يتحدثون عن حب جده عليه الصلاة والسلام له حتى أن النبى كان يحمله على رقبته.. وقد شهده أحدهم فقال:

- نعم الركب ركبت يا غلام.

فرد الرسول عليه الصلاة والسلام.

- ونعم الراكب هو.

وقد التف الناس حوله لحب الرسول له، ولما كان هو نفسه يمتاز به من مناقب متمثلاً فى جوده وتسامحه وتواضعه وتقواه.

كما أن الناس فى الكوفة شعروا بأنهم خذلوا والده وأن الإمام الشهيد طالما عانى من تخاذلهم عن نصرته، مما مهد الأمر لمعاوية..

لقد وجدوا فى الحسن خير خلف لوالده.. فلا أحد ينكر صلته بالرسول الكريم.. ولا أحد ينكر تقواه حتى قيل أنه حج خمسًا وعشرين مرة.. وكان عف اللسان.

ولكن معاوية وقد عرف بمقتل الإمام، أراد أن ينتهز هذه الفرصة ويواصل زحفه نحو العراق، ويحتله عنوة.. وعلم الناس بالكوفة بتحرك جيش معاوية، فاحتشدوا لمواجهة الجيش القادم من الشام.

وفكر الحسن فى الأمر.. وقرر أن يضع نهاية لهذه الحرب الأهلية، وأن يضع حدًا لإراقة الدماء.. وقرر أن يتنازل لمعاوية عن الخلافة، على أن يؤول إليه الأمر من بعده.. وألا يطالب معاوية أحدًا من أعوان أبيه سواء كانوا فى المدينة أو الحجاز أو العراق بشئ مما كان أيام أبيه، ويقضى ديونه.

ووافق معاوية على هذه الشروط.

فما كان لرجل فى دهاء معاوية أن يضيع هذه الفرصة وأن تتوحد البلاد الإسلامية تحت رايته، وأن يتفرغ من هم الحرب الأهلية ليتفرغ لتثبيت ملكه، وليعاود الفتوحات والانتصارات فى شمال فارس، وفى الشمال الأفريقى.

وتنازل الحسن عن الخلافة فى سنة إحدى وأربعين وآل الحكم نهائيًا للأمويين.. وتحقق بذلك ما قاله الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام فى الإمام الحسن:

«يصلح الله به فئتين من المسلمين».

وعاد الحسن والحسين وآل البيت إلى المدينة.. وعاش الحسن ثماني سنوات فى المدينة..

ويقول الرواة أن يزيد كان يخشى من الحسن أن يئول إليه الأمر بعد معاوية، فاتفق مع زوجة الحسن (جعده بنت الأشعث) أن تسمه وأن يتزوجها فغدرت بالحسن. وبات مسمومًا.

وقيل أنها عندما طالبت يزيد أن يفى بوعده بالزواج منها رفض قائلاً:

ـ إنا لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا!!

وهكذا أصبح معاوية بعد وفاة الإمام الحسن يعد العدة، لتتحول الخلافة إلى ملك عضوض، بأن يرثه فى الخلافة ابنه يزيد.. غير أن أهل الحجاز الذين يعرفون تاريخ معاوية ووالده أبى سفيان بن حرب الذى طالما كان يكيد للإسلام والمسلمين، وأمه هند التى لاكت كبد الحمزة عم النبى عليه الصلاة والسلام.. لم يكن ليرضوا أن تتحول الخلافة إلى ملك..

فسفيان بن حرب والد معاوية لم يسلم إلا بعد أن فتح النبى عليه الصلاة والسلام مكة.. ولكى يرضى غرور أبى سفيان قال:

ـ من يدخل بيت الله الحرام فهو آمن، ومن يدخل بيتى فهو آمن، ومن يدخل بيت أبى سفيان فهو آمن.

والدليل على رفض أهل المدينة والحجاز لمعاوية، وأنهم قبلوا خلافته على مضض.. أن معاوية ذهب إلى المدينة فقابله أهلها بجفاء شديد.. فما كان منه بما عرف عنه من دهاء شديد أن قال لبعض الأنصار.

- تلقانى الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار.

قال له أحدهم:

- لم يكن لنا دواب!

- فقال معاوية:

- وأين النواضح (الإبل).

رد الرجل بغلظة وخشونة:

- عقرناها فى طلبك وطلب أبيك يوم بدر!

لم يصمت الرجل عند هذا الحد بل قال لمعاوية الذى يزرهم لأول مرة منذ توليه الخلافة.

- إن النبى ﷺ قال لنا:

- إنكم سترون بعدى أثره (يعنى مصيبة).

قال معاوية بهدوئه الشديد:

- فما أمركم؟

- أمرنا أن نصبر.

وعاد معاوية إلى دمشق ليحكم قبضته على كل أرجاء ملكه.. وكان قد عين عمرو بن العاص أميرًا على مصر، والمغيرة ابن شعبة أحد الدهاة الغلاظ القلب أميرًا للبصرة، وعلى الكوفة ابن زياد.. الذى كان مواليًا للإمام على رضى الله عنه، ثم انحاز لمعاوية، والذى اعترف بأخوته له، وبذلك سمى زياد ابن أبى سفيان، بعد أن كان يعرف بزياد ابن أبيه!

ومن هنا ضمن معاوية ولاء زياد، وزياد هو الذى أنجبه أبو سفيان فى علاقة غير شرعية قبل أن يدخل الإسلام بجارية اسمها «سمية».

وقد ضاق بعض الأمويين ذرعًا بهذا الاعتراف، وقد امتد سطانه إلى الكوفة أيضًا بعد وفاة المغيرة.

وكان زياد هذا متغطرسًا.. يسير كأنه ملك.. يسير حوله الجنود.!

وعلى المدينة تولى الإمارة مروان بن الحكم الفظ الغليظ القلب، الذى كان كثيراً ما يسىء لأبناء الصحابة.. بل بلغ من وقاحته أنه كان يسب الإمام علىّ على المنبر دون أن يراعى مشاعر آل البيت.!

ومما يحسب لمعاوية فى هذه الفترة من عمره التى امتدت عشرين عامًا معاودة الفتوحات الإسلامية فى الشمال الأفريقى،

مجابهة الروم فى كل الجبهات، ومواصلة الزحف فى شمال فارس، ومهاجمة القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية.

وحقق كثير من الفتوحات التى وطدت دعائم الإسلام فى هذه البلاد، وبات الطريق سهلاً للوصول بالفتوحات الإسلامية حتى شواطئ الأطلنطى.

فقد وصل عقبة بن نافع بجيوشه حتى تونس، وبنى مدينة القيروان. !

ولم يكن هم معاوية الشمال الأفريقى فقط، بل كان همه أن تصل الجيوش الإسلامية وينتشر الإسلام فى تركستان وأزبكستان الحالية، والتوغل فى الهند.. وينجح معاوية فى ذلك ومن بعده خلفاؤه نجاحًا كبيرًا فى ضم مساحات شاسعة من آسيا وأفريقيا إلى امبراطوريته.

* * *

على أن من أهم الأحداث التى أحدثها معاوية أثناء حكمه هو أخذه البيعة لابنه يزيد، وتحويله الخلافة إلى مُلْك.

وقد نبعت هذه الفكرة فى ذهنه، عندما أخبر المغيرة بن شعبة يزيد بذلك وراقت الفكرة له، فأخبر والده الذى رحب بذلك بحجة أن تعيين يزيد خلفًا له سيجنب البلاد سفك الدماء التى حدثت بعد خلافة عثمان بن عفان.

وعندما سأله معاوية:

- ومن لى بذلك؟

قال المغيرة:

- أنا أكفيك الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك.

وراقت الفكرة لمعاوية تمامًا.. وأعمل عقله وفكره ودهاؤه لهذا الأمر.. وطاوعه ولاته زلفى وتملقًا.. وبايعه أهل الشام والعراق.. ولم يبق إلا الحجاز، وقرر معاوية الذهاب بنفسه لأخذ البيعة لابنه بصحبة ألف فارس.

وكان قد سبق لمعاوية أن أرسل لواليه فى المدينة مروان بن الحكم قائلاً له:

« إنى كبرت سنى، ودق عظمى وخشيت الاختلاف على الأمة من بعدى، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدى، وكرهت أن أقطع أمرًا دون مشورة من عندك، فاعرض ذلك عليهم، واعلمنى بالذى يردون عليك».

وأخبر مروان الناس بما كتبه إليه معاوية.. فوافقوا أن يختار لهم.

وأرسل له الخليفة مرة ثانية بأنه اختار ابنه يزيد ليخلفه.

وأثار هذا الاختيار الناس حتى أن عبد الرحمن بن أبى بكر قال لمروان بن الحكم:

« ما الخيار أردتم لأنه محمد ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل، قام هرقل».

ووقف الحسين بن على فاعترض على هذا الاختيار كما اعترض أيضًا عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر واتضح لمعاوية عندما عرف ما حدث من عامله مروان بن الحكم أن هناك معارضة قوية من أولاد الصحابة أن يتولى أمرهم من بعد معاوية ابنه يزيد، ويزيد هذا لم يكن فوق مستوى الشبهات.. فقد عرف الناس عنه أن شديد الولع بالقمار وشرب الخمر.!

وأثر معاوية أن يذهب بنفسه إلى المدينة.. وأن يحسم الأمر بنفسه.. صاحبًا معه ألف من حرس الشام، وعندما علم المعارضون بهذا الأمر، انطلقوا إلى مكة.

وذهب معاوية معتمرًا، وجمع الناس ليحدثهم فى أمر يزيد.

قال لهم معاوية:

قد علمتم سيرتى فيكم، وصلتى لأرحامكم، وحملى ما كان منكم.. ويزيد أخوكم وابن عمكم.. وأردت أن تقدموه

باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تعزلون وتأمرون.. وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم فى شىء من ذلك.

وهنا وقف عبد الله بن الزبير واقترح أن يكون الأمر على ما كان بعد رسول الله، فلم يعين الرسول أحدًا من بعده وترك الأمر شورى بين المسلمين، فاختار الناس أبا بكر.

وقال معاوية:

- ليس فيكم أحد كأبى بكر.

فاقترح عليه ابن الزبير أن يكون الأمر كما فعل الفاروق عمر.. فقد رشح ستة ليختار المسلمون منهم واحدًا.. ولم يكن من هؤلاء المرشحين أحد من ذوى قرباه.

ورفض معاوية ذلك وقال لهم:

فإنى أحببت أن أتقدم إليكم إنه قد أعذر من أنذر، إنى كنت أخطب فيكم فيقوم إلى القائم منكم فيكذبنى على رءوس الناس فأحمل ذلك فأصفح، فإنى قائم بمقالة: فأقسم بالله لئن رد علىّ أحد منكم كلمة فى مقامى هذا لا ترجع إليه كلمة حتى يسبقها السيف إلى رأسه فلا يبقين رجل إلا على نفسه.

وأمر معاوية حراسه أن يقفوا على رءوس الناس، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبت بأمر دونهم، ولا يقضى إلا عن مشورتهم، وأنهم قد رضوا وبايعوا يزيد.. فبايعوا على اسم الله.

وتحت هذا الضغط وهذا التهديد.. بايع الناس يزيد.

وعاد معاوية إلى الشام مع جنده بعد أن أخذ هذه البيعة تحت تهديد السلاح.

ومرت الأيام..

وقضى معاوية فى الخلافة قرابة عشرين عامًا.. وحين حضرته الوفاة عام ٦٨٠م.

طلب إحضار شعيرات من شعر الرسول عليه الصلاة والسلام كان محتفظًا بها تبركا، وبعض من قلامة أظافره، وأوصى بأن يدفن ومعه هذه الأشياء من زكريات الرسول الكريم.. بأن يضعوها فى عينيه وفمه، وأن يكفن بعباءة كان قد أهداها له الرسول عليه الصلاة والسلام وقال لمن حوله:

- افعلوا ذلك وخلوا بينى وبين أرحم الراحمين.

توفى معاوية فى شهر رجب سنة ٦٠هـ.. وآل الحكم إلى يزيد.. الذى ولد فى دمشق سنة ٢٦هـ.. وكان يزيد مع لهوه أديباً وشاعراً، وورث عن والده الذكاء والدهاء وسعة الحيلة.

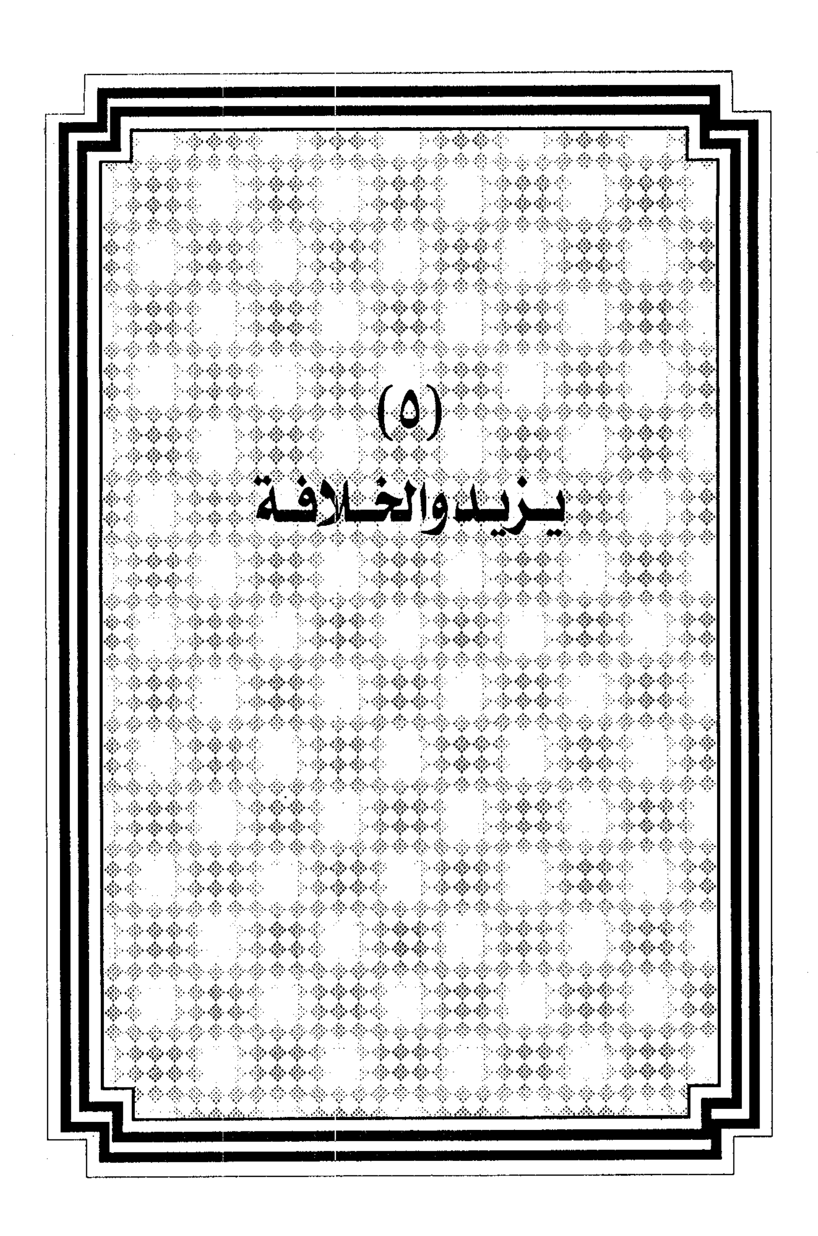
وفى عهده واصلت الجيوش الإسلامية زحفها حتى وصلت إلى شواطئ الأطلنطى بقيادة عقبة بن نافع.. كما بدأت جيوش الإسلام تنطلق فى آسيا الوسطى حتى وصلوا إلى نهر جيحون. ولكن فترة حكمه القصيرة (٦٠ ـ ٦٤هـ) شابها فترات كانت من أسود فترات التاريخ الإسلامى مما سبب أن يوصم عهده بالظلام والإظلام والبطش والطغيان.. وكان على رأس هذه الأزمات التى تعرض له حكمه.

ـ مأساة كربلاء.. التى راح ضحيتها الإمام الحسين وعدد كبير من آل البيت سنة (٦١هـ).

ـ ثم الحملة التى أرسلها على المدينة المنورة لمنع الثورة بها.. بلا رحمة ولا شفقة ولا تقدير لمكانة أهل المدينة من رسول الله وهم أبناء أجلاء الصحابة (٦٣هـ).

- كما كان إرسال حملة لمكة المكرمة (٦٣هـ) لمجابهة عبد الله بن الزبير (٦٤هـ).. وانتهاك حرمة البلد الحرام.. كل ذلك كان صفحات سوداء فى تاريخ يزيد.

* * *


(٥)
يزيد والخلافة

عندما تولى يزيد الخلافة.. ووكل الأمر لبنى أمية.. كان الناس يأملون منه العدل والعمل بالشريعة، ونشر قيم الإسلام وفضائله..!

ولكن شاع بين الناس أن يزيد يحب القمار والخمر وأنه داهية.. شديد المكر.. ولا يؤمن جانبه.

ولم تعد الصورة كما كان الناس يتمنون ويأملون بعد أن انتهت الحرب الأهلية فى زمن الإمام، وبعد أن تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية الذى حولها إلى ملك عضوض، وأخذ البيعة لابنه بالخديعة حينًا، وباللين أحيانًا، وبالوعد والوعيد فى أحيان أخرى، وبالشدة إذا لزم الأمر.

كانت السيدة زينب رضى الله عنها كواحدة من آل البيت، تهتم بما يجرى على الساحة الإسلامية من أحداث، تتابع هذه الأحداث من بعيد، فلم تشترك فيها إلا بعواطفها ومشاعرها.. وهى ترى والدها لا يخرج من أزمة إلا ويدخل فى أزمة أخرى، خاصة فى عهد عثمان رضى الله عنه، وأثناء خلافته عندما فرضت عليه الظروف فرضًا أن يخوض حروبه مع عائشة وطلحة والزبير، ومع الخوارج، ومع معاوية بن أبى سفيان.

كانت هموم الإمام كثيرة..

وكانت أشجانه لا تنتهى، وكذلك كان آل بيته يشاركونه هذه الأحزان التى فوق الطاقة البشرية!

كان أمل الإمام عندما تولى الخلافة إلا ينازعه فيها منازع، ولا يخرج عنه خارج، ليتفرغ لما هو أهم من الصراع الداخلى، والاعتقادات الخاطئة.. ليتفرغ لنشر الإسلام فى بقاع الدنيا ونشر نور الإسلام وحضارته فى كل أرجاء العالم.. ونشر فضائل الإسلام وقيمه ومبادئه بالعمل بالكتاب والسنة، وهو خير من يفهم ما جاء فى الكتاب والسنة لعلمه وبلاغته وقربه من الرسول عليه الصلاة والسلام.

كان يأمل أن يكون حكمه امتداداً لحكم الشيخين أبوبكر وعمر.. ولكن الرياح تأتى دائمًا على عكس ما تشتهى السفن كما يقولون.. فإذا به يواجه الطامعون فى السلطة، والذين يفهمون الدين على هواهم كالخوارج.. وانتهت حياته نهاية مأساوية عندما قتلوه وهو ذاهب يؤدى صلاة الصبح.!

سنوات وسنوات مرت..

حكم فيها معاوية البلاد أكثر من ١٢ عامًا بعد تنازل الحسن له عن الخلافة.

وعلى وهج الانتصارات التى حققها المسلمون، إلا أنهم كانوا يريدون أن يشعروا بقيم الإسلام ومبادئه وأن يجسد حكام بنى أمية شريعة الله.

ولكن الناس على العكس يتناهى إلى سمعهم ما يغدقه حكام الولاة على من يريدون من الأتباع، ويحجبون المال على من لا يرغبون.. ويسودون الناس بالقهر والطغيان..!

هال الناس ذلك.. وهالهم أن هناك طبقة مترفة بدأت تغزو المجتمع الإسلامى.. ففى الوقت الذى نرى فيه أبناء الصحابة من التابعين يتجهون إلى العبادة والتقرب إلى الله بمختلف العبادات.. كان هناك أيضًا طبقة امتلكت الأموال والضياع، واتجهوا إلى الترف.. وعرف مجتمع مكة الطرب والغناء.. وكان الحكم الأموى يشجعهم على ذلك لأنه لم يشركهم فى أمور الحكم لا عن طريق الشورى أو غير الشورى.

وقد مَجَّ الناس سياسة معاوية فى الوقيعة بين الناس.. فكان يوقد نار الخلافات بين مختلف القبائل حتى يتفرغوا لهذه المشاكل.. ولم يعر الموالى اهتمامًا شديدًا، رغم أن الإسلام لا يفرق بين المسلم والمسلم بسبب العِرْق أو الجنس ولكن مقياس التفاضل هو التقوى.

كما ملَّ الناس طغيان الولاة الذين كانوا يمسكون بزمام الحكم فى الولايات المختلفة.

وإذا كان الإسلام لا يأخذ البرئ بجريرة المذنب، فإن حكام معاوية كانوا يبطشون بالناس حتى يخشاهم الناس وذلك يتضح

من خطبة زياد في البصرة الذى أعلن فيها أنه سيأخذ البرئ بذنب المسئ. . وأنه لا يرحم القريب انتقامًا من البعيد!!

وقال فيها فيما قال:

«إنى لأقسم بالله لأخذن الولى بالمولى، والمقيم بالطاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول:

انج سعيد فقد هلك سعد!!».

وقال فيما قال فى خطبته تلك:

«إن لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاى».

وتبلغ سياسة الدهاء والمراوغة مداها فى عهد معاوية ومن بعده يزيد. حتى أن يزيد كان يشتكى لوالده أن هناك من يلجأ إليه خوفًا من العقوبة التى فرضها عليه فيعفو عنه معاوية.

ورد عليه معاوية. . يعلمه كيف يسوس الناس.

«إنه لا ينبغى أن تسوس الناس بسياسة واحدة فيكون مقامنا مقام رجل واحد. ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون أنا للرأفة والرحمة فيستريح الناس بيننا».

وقبل وفاة معاوية نصح ابنه يزيد أن يحترس من بعض الطامعين فى الخلافة فقال:

«يابنى:

إنى قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك من جمع واحد، وإنى لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذى استتب لك إلا أربعة نفر من قريش:

الحسين بن على

وعبد الله بن عمر

وعبد الله بن الزبير

وعبد الرحمن بن أبى بكر

فأما عبد الله بن عمر فرجل قد شغلته العبادة فإذا لم يبق أحد غيره بايعك.

وأما الحسين بن على فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه.

فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحمًا ماسة وحقًا عظيمًا.

وأما ابن أبى بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئًا صنع مثلهم.. ليس همه إلا فى النساء واللهو.

وأما الذى يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير».

وكان الرجل مصيبًا فى آرائه.. لخبرته بالحياة وبالناس وبقدرته الفائقة على أن يسوس الناس.

* * *

كانت الصورة التى ارتسمت فى أذهان الناس أن الحكم الأموى لا يحقق الشريعة.. إنه يريد الدنيا.. ويريد الترف.. ويريد التمتع بمتع الحياة غير عابئ بالدين.. ولا بأحكام الدين.

ومن ذلك ما روى عن أبى ذر الغفارى -رضى الله عنه- الذى هاله ما رأى من بزخ معاوية، وحرصه على اقتناء القصور، والأكل فى صحاف من ذهب.. هالة هذا الترف، حتى أنه قال لمعاوية وهو يريه القصر الذى بناه.. (قصر الخضراء) «إن كنت بنيته من مال الله فأنت من الخائنين.. وإن كنت بنيته من مالك فأنت من المسرفين»..

شعر الناس إذن بالفرق الشاسع بين حكم الخلفاء الراشدين، وحكم بنى أمية، فضاقت صدورهم بما يرون.. وكان من أمالهم أن تعود الخلافة إلى عصورها الذهبية عدلاً وتقى وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ولكن أنىّ يكون ذلك.

والعصر غير العصر.

والحياة غير الحياة..

والسياسة لعبت دورها ليكون الحكم فى يد إنسان لا يُسئل عن تصرفاته وسلوكياته.. حتى لو أخذ الناس بالقهر والجبروت.. حتى لو حكموا بقوة السيف والسلطان.. بلا قانون ولا وازع من ضمير.. إلا المصلحة.. والحرص على السلطة والجاة والملك.. وتقريب من يشاء إليه، وإبعاد من يشاء.. وتحكيم الهوى.. وكان مثل هذا الحال لا يرضى رجلاً كالإمام الحسين.

ولا يرضى رجلاً كعبد الله بن الزبير.

ولا يرضى الصالحين من أمثال ابن عمر، وابن أبى بكر.

والسؤال لماذا اندفع الحسين إلى المعركة دون غيره؟

كانت كل الأمور مهيأة لأن يتحمل هو هذا العبء التاريخى.. فهو ابن الإمام على وأحق الناس بالخلافة كما يعتقد حتى يسوس الناس بمقتضى الكتاب والسنة.

وكان ابن الزبير يعرف أن دوره ليس مواتيًا فى هذه الفترة طوال حياة الإمام الحسين.. فهو الأكثر جماهيرية.. والأكثر

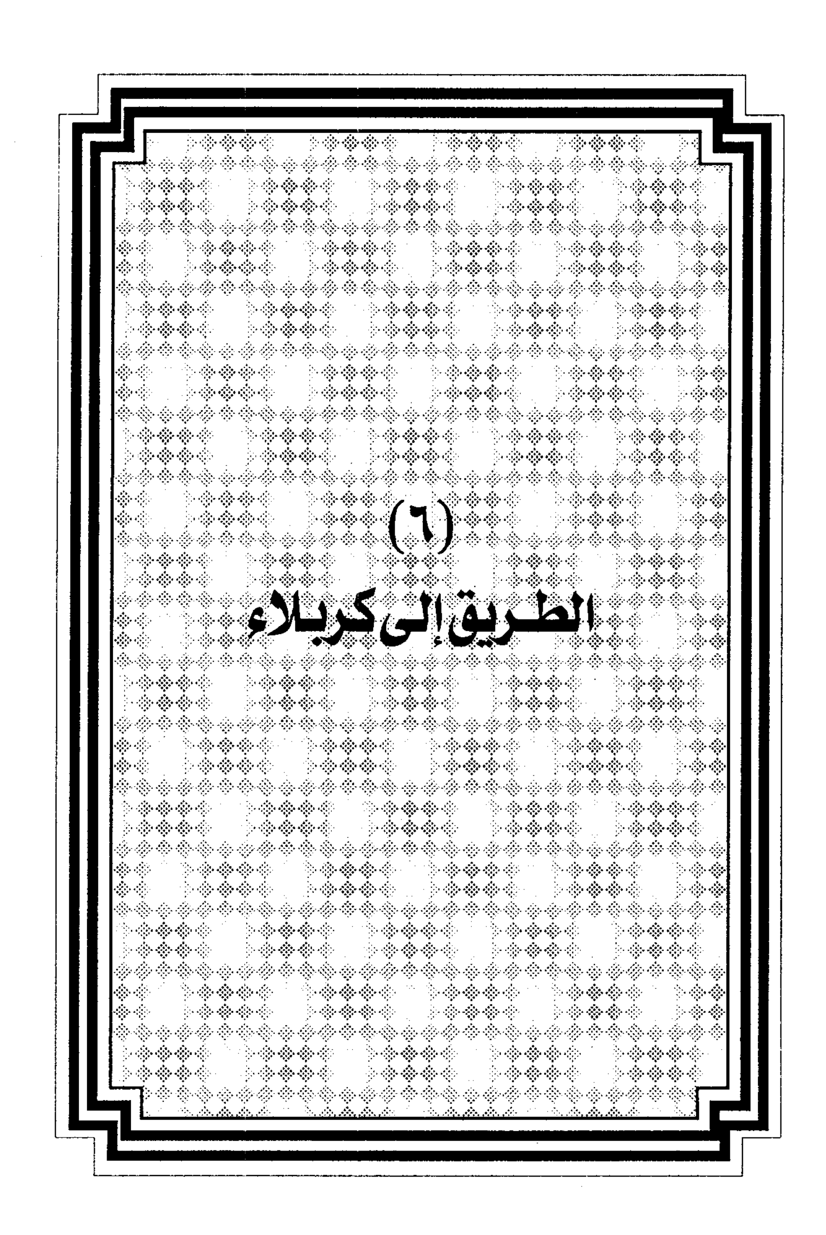
قربًا من الناس بحكم أنه ابن الإمام على، وحفيد الحسين، وابن بنت رسول الله فاطمة الزهراء.

ثم أن هناك عاملاً آخر زاد فى الإلحاح على أن يقوم الحسين بثورته على يزيد بن معاوية، وهو كما تنبأ معاوية.. أن أهل العراق لن يتركوه.. وأنهم سوف يستدعونه.. وبالفعل أرسل إليه رسائل كثيرة بأن يذهب إليهم فى العراق، وأنهم سوف ينصرونه، ويقفون إلى جانبه.

كان الحسين يريد الخروج إلى العراق.. ويضع نهاية لظلم بنى أمية الذين حولوا الخلافة إلى ملك عضوض.. يتوارثها أب عن جد.. لقد حولوا الخلافة إلى كسروية كما كانت عند الفرس، أو قيصرية كما كانت عند الروم.!

ولكن هل سيقف معه أهل العراق كما أرسلوا إليه فى رسائلهم، أو فى الوفود التى ذهبت إليه ليعود معهم إلى الكوفة يبايعونه، ويقفون بجانبه، حتى يؤول إليه الأمر فيحكم بما جاء فى الكتاب والسنة.. أم أنهم سيخذلونه كما فعلوا مع والده الإمام؟!!!

* * *



(٦)
الطريق إلى كربلاء

رغم أن معاوية استطاع أن يفوز فى النهاية بالخلافة، والتى استقرت فى يده قرابة العشرين عامًا. . إلا أن الأمر لم يخلص للأمويين تمامًا.

فقد كان هناك الخوارج الذين خرجوا على الإمام علىّ وعلى معاوية، وكانوا يرون أن الخلافة لا يختص بها أهل مكة سواء أكانوا أمويين أو هاشميين، ولكن أى مسلم تقى ورع يمكن أن يتولى الخلافة ولو كان عبدًا حبشيًا.

وهؤلاء الخوارج الذين كانوا مع على ثم خرجوا عليه عندما قبل التحكيم، قد سموا بالخوارج. . أو سموا أنفسهم بهذا الاسم من قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٠].

وكثيرًا ما أطلقوا على أنفسهم الشُراه من قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾[البقرة: ٢٠٧].

وهؤلاء الخوارج الذين خرجوا على الإمام وأيضًا على الأمويين، رغم تقواهم وورعهم، وجرأتهم الشديدة فى القتال

فى سبيل ما يعتقدون. . رأوا أنهم هم الذين على حق، وغيرهم على الباطل. . فسببوا القلاقل طوال فترة الحكم الأموى.

وهؤلاء الناس لم يكفرهم الإمام كما كفروا هم الآخرين، ولكنه كان يرى أنهم طلبوا الحق فضلوا طريقه.

وكان هناك أيضًا من يتطلع إلى الخلافة فى الحجاز وهو عبد الله بن الزبير، ولم يعلُ صوته إلا بعد استشهاد الإمام الحسين فى كربلاء. . لأن الناس كانوا يلتفون حول الحسين، على اعتبار أنه من أهل بيت رسول الله، وحفيده. . كما تعاطفوا معه عندما رأوا ما حلّ بوالده الإمام فى العراق.

وقد زادت شعبية الإمام الحسين فى العراق بصفة خاصة. . ربما بفعل وخز الضمير. . وعدم سيرهم مع والده الإمام على، وأخيه الحسين. . كما أن ما سمعوه عن حب الرسول عليه الصلاة والسلام للإمام وآل بيته، جعل ضميرهم يؤنبهم، فأرسلوا للحسين فى مكة رسائل عن تأييدهم لبيعته، بل أنهم دعوه ليذهب إلى الكوفة ليناصرونه ويقفون بجانبه.

وكان يزيد - عندما تولى الخلافة بعد أبيه - قد أرسل إلى عامله فى المدينة أن يأخذ البيعة ولو بالقوة من الحسين، وعبدالله ابن الزبير وغيرهم من الذين رفضوا بيعته من أولاد أعلام الصحابة، مما دفعهم إلى الذهاب لمكة ليلاذاً ببيت الله الحرام.

وقد تشيع للإمام الحسين الكثيرون..

والدارس لمسيرة الشيعة يرى هناك غلاة الشيعة.. الذين قالوا بأفكار غريبة.. كعبد الله بن سبأ الذى أسلم وكان يهوديًا من اليمن، وأدعى أن فى الإمام علىّ جزءًا إلهيًا.. وأنه لم يمت وقال برجعة الإمام!!

أو على حد قول الشهرستانى: كان يزعم أن عليًا يجئ فى السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه!.

على كل حال فإن هذه الأفكار المنحرفة حاربها الإمام نفسه، ولم يدعُ الإمام علىّ أو أحد من أبنائه من آل البيت بمثل هذه الخرافات.. ولكن بعض الغلاة من الشيعة أذاعها وروّجها!!

وبينما كان حزب الخوارج عامل قلق وتوتر للدولة الأموية طوال تاريخها.. كان الأمويون يخشون الإمام الحسين ويريدون التخلص منه ومن أتباعه، إن لم يبايع يزيد بالخلافة.. وكان يزيد رغم استهتاره.. وولعه بالخمر -كما قالوا عنه- يؤيده أهل الشام.. وكان صاحب نفوذ قوى فيهم وكان أهل الشام يرون أن الأمويين أحق بالخلافة لما قدموا للإسلام من انتصارات فى كل الأنحاء.

وكان الأمويون يعرفون مكانة آل البيت عند الناس لمكانتهم

من الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكنهم كانوا يخشونهم ويخشون ثوراتهم.. لأنهم يتشبثون بالحكم..

والخلاف بين بنى هاشم وبنى أمية قديم.. والصراع بينهما أيضًا صراع قديم.. فقبل الإسلام كان كلاهما يريد أن يكون له الكلمة العليا فى مكة.. وبعد الإسلام.. حاربه الأمويون فى أول الأمر، ورأوا فيه سيادة لبنى هاشم عليهم، ولم يدخلوا الإسلام إلا بعد أن استطاع الرسول عليه الصلاة والسلام أن يدخل مكة نفسها ولم يجد الأمويون أمامهم إلا الدخول فى الإسلام، فدخله أبو سفيان بن حرب، بعد أن ألّفه الرسول عليه الصلاة والسلام، وأغدق له العطاء، وأرضى غروره بأن قال عند فتح مكة: أن من دخل بيت الله الحرام فهو آمن، ومن دخل بيتى فهو آمن، ومن دخل بيت أبى سفيان فهو آمن.

وكان أبو سفيان يرى فيما حققه الرسول عليه الصلاة والسلام من انتصارات انتهت بفتح مكة.. أن ذلك ملكًا.. حتى أنه قال للعباس عم النبى عليه الصلاة والسلام، وهو يرى جيش المسلمين يتأهب لدخول مكة.

- لقد أصبح ملك ابن أخيك كبيرًا..

فقال له العباس:

- إنها النبوة..

- ورد أبو سفيان:

- نعم.. هى!!

* * *

وهناك قصة ترويها كتب التراث، ترى فيها ما يكنه كل من الهاشميين والأمويين كل للآخر.

الأمويون يريدون أن يظهروا سوءات بنى هاشم، وبنى هاشم تكشف ما انطوت عليه دخيلة نفوس الأمويين وهذه القصة وردت فى سياق ما امتاز به الهاشميون من البلاغة.

يقول صاحب نوادر الخلفاء أنه من ثمرات الأوراق عن الأجوبة الهاشمية وبلاغتها فى المحل الرفيع:

أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة وعتبة بن أبى سفيان، والمغيرة بن شعبة فقالوا:

يا أمير المؤمنين ابعث إلى الحسن بن على - رضى الله عنهما- يحضر لدينا.

قال لهم: لم؟

قالو: كى نوبخه ونعرفه أن أباه قتل عثمان!

فقال لهم معاوية:

إنكم لن تطيقوه ولن تنتصفوا منه، ولا تقولوا به شيئًا إلا كذبكم، ولا يقول لكم ببلاغته شيئًا إلا صدقه الناس.

فقالوا: أرسل إليه فإنا نكفيه.

فأرسل له معاوية.

فلما حضر قال: يا حسن إنى لم أرسل إليك ولكن هؤلاء أرسلوا إليك فاستمع إلى مقالتهم.

فقال الحسن رضى الله عنه:

فليتكلموا ونحن نسمع.

فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

- يا حسن هل تعلم أن أباك أول من أثار الفتنة، وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله تعالى به. !

ثم قام الوليد بن عقبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا بنى هاشم كنتم أصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله ﷺ يقربكم ويفضلكم ثم بغيتم عليه وقتلتموه، وقد أردنا قتل أبيك فأنقذنا الله منه، ولو قتلناه ما كان علينا ذنباً. !

ثم قام عتبة بن أبى سفيان فقال:

ـ يا حسن إن أباك قد تعدى على عثمان فقتله حسدًا على الملك والدنيا فسلبها الله منه. ولقد أردنا قتل أبيك حتى قتله الله تعالى.

ثم قام المغيرة بن شعبة وقال: كلامًا سباً لعلى وتعظيمًا لعثمان.

فقام الحسن رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وقال:

وربك أبداً يا معاوية.. لم يشتمنى هؤلاء، ولكن أنت تشتمنى بغضًا وعداوة ومخالفة لجدى رسول الله ﷺ.

ثم التفت إلى الناس وقال:

أنشدكم الله إن الذى شتمه هؤلاء أما كان أبى أول من آمن بالله وصلى إلى القبلتين وأنت يا معاوية كافر تشرك بالله، وكان مع أبى لواء النبى ﷺ يوم بدر ولواء المشركين مع معاوية ثم قال:

أنشدكم الله تعالى أما كان معاوية يكتب لجدى ﷺ فأرسل إليه يومًا فرجع الرسول وقال: هو يأكل، فرد الرسول ثلاث مرات، كل ذلك يقول: هو يأكل!

فقال النبى ﷺ:

ـ لا أشبع الله بطنك يا معاوية.

أما تعرف ذلك من بطنك. !

ثم قال:

وأنشدكم الله أما تعلمون أن معاوية كان يقود بأبيه وهو على جمل، وأخوه هذا يسوقه، فقال رسول الله ﷺ مقال وأنت تعلم هذا كله يا معاوية.

وأما أنت يا عمرو.. فقد تنازعك خمسة من قريش فقلب عليك شبه الأيهم وهو أقلهم حسبا وأسوأهم منصبًا، ثم قمت وسط قريش فقلت: إنى شانئ (هاج) محمد بثلاثين بيتاً من الشعر.

فقال النبى ﷺ:

«اللهم إنى لا أحسن الشعر. اللهم العن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة».

ثم انطلقت إلى النجاشى بما عملت وعلمت، فكذبك وردك خائبًا، فأنت عدو بنى هاشم فى الجاهلية والإسلام. فلا نلومك على بغضك الآن.

وأما أنت يا ابن أبى معيط فكيف نلومك على سبك لأبى، وقد جلدك أبى فى الخمر ثمانين جلدة. وقتل أباك صبرًا بأمر جدى، وقتله جدى بأمر ربى ولما قدمه للقتل قال:

- من للصبية بعدى يا محمد؟

فقال جدى:

ـ لهم النار فلم يكن لهم عند جدى غير النار، ولم يكن لهم عند أبى غير السوط والسيف.

وأما أنت يا عتبة فكيف تعيب أحدًا بالقتل ولا تعيب نفسك، فلم لا تقتل الذى وجدته على فراشك مضاجعًا لزوجتك، ثم أمسكتها بعد أن بغت.

وأما أنت يا أعور ثقيف ففى أى شىء تسب عليا أفى بعده من رسول الله ﷺ أم لحكم جائر فى رعيته فى الدنيا.

فإن قلت: فى شىء من ذلك كذبت وكذبك الناس. وإن مثلك كمثل بعوضة وقعت على نخلة فقالت لها: استمسكى فإنى أريد أن أطير.

فقالت لها النخلة:

ـ ما علمت بوقوعك فكيف يشق عليه طيرانك!

فكيف يا أعور ثقيف يشق علينا سبك.

ثم نفض ثيابه وقام.

فقال لهم معاوية:

ـ ألم أقل لكم لا تنتصفون منه، فوالله لقد أظلم على البيت حتى قام.

ويروى صاحب نوادر الخلفاء قصة أخرى.. للمفاضلة بين بنى هاشم وبنى أمية:

خرج معاوية عامًا فحج فمر بالمدينة، ففرق على أهلها أموالاً جزيلة، ولم يحضر الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما، فلما حضر قال له معاوية:

- مرحبًا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا، وتعرض لنا ليبخلنا.

فقال الحسن:

- كيف يفقد ما عندك، وخراج الدنيا يجىء إليك؟!

فقال له معاوية:

- قد أمرت بمثل ما أمرت به لأهل المدينة وأنا ابن هند!

فقال الحسن:

- قد رددته عليك وأنا ابن فاطمة الزهراء رضى الله عنها.

هذه الحكايات التى يسوقها الرواة إن دلت على شىء، فإنما تدل على عمق الصراع بين البيت الأموى، والبيت الهاشمى.. فى الجاهلية والإسلام. وقد عمق هذا الصراع أن بنى أمية اتخذت من السلطة وسيلة لفرض هيمنتها على رقاب بنى هاشم.

* * *

ومات معاوية..

وخلفه ابنه يزيد فى رجب سنة ستين.

وأرسل يزيد إلى واليه فى المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أن يأخذ بيعة الحسين، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر.

واستدعى والى المدينة الحسين، وطلب منه أن يبايع يزيد وقال له الإمام أنه لا يبايع سرًا، وسوف يبايع مع الناس.

وأخذ الحسين طريقه إلى مكة لائذاً ببيت الله الحرام وفعل ذلك أيضًا عبد الله بن الزبير.

وفى مكة جاءت مطالب العراقيين إلى الحسين بالذهاب إليهم وسوف يكونون معه.. ويحاربون به.. وأرسل الإمام الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل للعراق، ليستطلع الأمر، ويرسل له موضحًا حقيقة ما يجرى على العراق، خاصة أنه بجانب الرسائل التى وصلته من أهل العراق، استقبل وفوداً منهم تشجعه على الرحيل إلى الكوفة وكتب إليهم الحسين رسالة يقول فيها!

«أما بعد

فقد فهمت كل الذى قصصتم. وقد بعثت إليكم بابن عمى

من أهل بيتى مسلم بن عقيل. وأمرته أن يكتب إلى بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلى أنه قد اجتمع رأى ملأكم وذوى الحجا منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله.

فلعمرى ما الإمام إلا العامل بكتاب الله، والقائم بالقسط والدائن بدين الحق والسلام».

وسار مسلم بن عقيل إلى العراق، ونزل فى الكوفة، حيث التف حوله الناس.. وتوافد عليه الناس حتى يقول الرواة أنه قد بايع الإمام الحسين ثمانية عشر ألف رجلاً.

وكان لابد أن يسمع والى الكوفة بهذه الأحداث وهو النعمان بن بشير، ولكنه خشى مجابهة أتباع الحسين فى الكوفة، فعزله يزيد، وضم الكوفة إلى عبيد الله بن زياد والى البصرة، وأرسل إليه أن يتعقب مسلم بن عقيل ويقتله أو ينفيه.

وطارد عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل، الذى سرعان ما اكتشف انفضاض الناس عنه خوفًا من سلطان بنى أمية، حتى أصبح مسلم وحيدًا لا يجد منزلاً يأويه فى الكوفة.. وعندما اكتشف أمره وذهبت شرطة ابن زياد للقبض عليه حاربهم وحده.. فأعطوه الأمان واركبوه بغلة بعد أن جردوه من سيفه،

واتجهوا به إلى قصر عبيد الله، ودار بينهما حوار طويل لم ينج فيه مسلم من بذاءة لسان عبيد الله بن زياد.

وعرف مسلم أن الحسين سوف يقبل لأنه أرسل إليه أن يأتى إلى الكوفة بعد أن رأى التفاف الناس حوله أول الأمر، ولم يكن يدرى أن هؤلاء الذين عاهدوه ليس لهم أمان ولا عهد وكان منتهى أمل مسلم بن عقيل أن يجد من يرسله إلى الحسين حتى يثنيه عن الذهاب إلى العراق. فقد علم أنه مقتول لا محالة.

وقيل أن ابن زياد أمر بإلقاء مسلم من أعلى القصر بعد أن يفصل قاتله رأسه عن جسده.. نظر مسلم حول هؤلاء الذين كانوا يلتفون حول عبيد الله بن زياد، ورأى عمر بن سعد بن أبى وقاص.. فطلب منه أن يتنحى به جانبًا، ورفض عمر بن سعد أول الأمر خوفًا من عبيد الله، ولكن عبيد الله طلب منه أن يذهب معه ليعرف مراده.. وقال مسلم لعمر بن سعد أن عليه دينًا فى الكوفة وطلب منه أن يقضيها عنه، وألا يمثل بجثته، وأن يبعث للإمام الحسين بعدم المجىء.

واستمع عبيد الله من عمر بن سعد بمطالب مسلم وقال له:

أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت.

وأما الحسين إن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه.

وأما جئته فإنا لن نشفعك فيها، أنه ليس لأهل منا بذلك، فقد جاهدنا وخالفنا، وجهد على هلاكنا، وأمر بقتل مسلم.. وفصلوا رأسه وألقوا بها من أعلى القصر، ثم رموا بجسده.. وكانت آخر كلمات مسلم.

«اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا».

* * *

ويقول الرواة ومنهم ابن جرير الطبرى أن مسلم بن عقيل طلب من عبد الله بن الأشعث أن يرسل إلى الحسين من يخبره بارتداد أهل الكوفة عن نصرته، وقام الرجل بإرسال من يقول للحسين ذلك، فما كان من الحسين إلا أن قال:

«كل ماهم نازل، عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أئمتنا».

وكان الحسين قد غادر مكة متجهًا إلى الكوفة، ولقيه هذا الرجل قبل وصوله إليها بأربع ليال.. ولكن الحسين قرر المواجهة!

لم يستمع الحسين لمن طلبوا منه فى مكة عدم الذهاب إلى العراق، وأن عليه أن يستفيد من الدرس الذى مر بوالده.. فأهل العراق قد خذلوا والده.. ولم يوافقوه على خططه حتى انتهى الأمر باستشهاده.

ولكن الإمام الحسين لم يستمع لنصائح من نصحه بالبقاء فى مكة، ومنهم ابن عمر الذى قال له بعد أن لحقه فى الطريق وقد خرج من مكة:

- إنى محدثك حديثًا. أن جبريل أتى النبى ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، ولم يرد الدنيا. وإنك بضعة من رسول الله ﷺ، والله ما يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم».

ولكن الإمام رفض الرجوع إلى مكة.

واعترض عبد الله بن الزبير على ذهابه إلى الكوفة، وحذره من موقف أهل الكوفة من أبيه.

كذلك حذره ابن عباس وقال له:

أنى لكاره لوجهك هذا تخرج إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك، حتى تركهم سخطة وملالة لهم.. أذكرك الله أن لا تغرر بنفسك!

خرج الإمام الحسين.. ومعه آل بيت رسول الله.. ومنهم أخته السيدة زينب رضى الله عنها.

ويقول الرواة أن الحسين وهو فى طريقه إلى العراق رأى الشاعر الفرزدق فسأله عن أحوال الناس فقال له الفرزدق:

«قلوب الناس معك.. وسيوفهم مع بنى أمية، والقضاء ينزل من السماء.. والله يفعل ما يشاء».

فقال الحسين:

صدقت.. لله الأمر من قبل ومن بعد، يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا فى شأن.. إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر.

* * *

لقد صمم الإمام على الذهاب إلى العراق.. رغم علمه بما حدث لابن عمه مسلم بن عقيل، ورغم النصائح التى أسداها إليه كبار أبناء الصحابة وكان يقول لهم:

«إنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام قد أمرنى فيها بأمر وأنا ماض له».

وكانوا عندما يسألونه عن هذا الأمر يقول:

«لا أحدث به أحدًا حتى ألقى ربى عز وجل».

* * *

كان الإمام الحسين يتجه إلى الكوفة، بقوة داخلية لا تقهر.

ترى ما الذى دفع الإمام الحسين إلى الذهاب إلى الكوفة رغم أنه يعلم تخاذل الناس فى العراق، وانفضاضهم عنه؟

لماذا لم يستمع إلى نصيحة من نصحوه بعدم الذهاب إلى العراق، والذين نصحوه لهم من الخبرة بالحياة والإخلاص للحسين باعتباره حفيدًا لرسولهم عليه الصلاة والسلام.. وحبًا فيه كشخص تكاملت فيه جمال الأخلال، وجلال الفضائل، وكانوا يعرفون عنه خلقه وتواضعه وعلمه وحبه للآخرين؟

ثم إن الحسين نفسه امتاز بتقواه.. كما امتاز بذكائه، وقدرته على فهم ما يجرى أمامه من أحداث؟

هل غاب عنه أنه هو وآل بيته سوف يجابهوا جيوش يزيد، تلك الجيوش التى أنزلت بالرومان هزائم ساحقة.. والروم امبراطورية كانت بالغة القوة والثراء؟!

هل كان يغيب عنه أن شرطة يزيد وأعوانه فى كل مكان.. وهم يعرفون دبيب النمل فى كل أنحاء الامبراطورية الأموية؟

هل غاب عن الإمام الذين يمكرون به ويتربصون به الدوائر، وينتهزون الفرصة للقضاء عليه حتى تخلو الساحة أمام سلطة بنى أمية الطامعين فى الخلافة، ويتخلصوا من الذين يسببون القلق لها، أو يهددون أمنها الداخلى؟!

وهل كان الإمام الحسين يتصور أنه بهذا العدد القليل من الأتباع.. الذين تفرقوا عنه بالفعل ـ تحت جنح الظلام ـ حين

طلب منهم ذلك، وأخبرهم أنه هو المطلوب، وأن عليهم أن يتسللوا تحت جنح الظلام حتى لا يتعرضوا للمجزرة التى يخطط لها الأعداء؟ هل كان يتصور أنه يمكن أن يحقق انتصاراً على عبيد الله بن زياد.. الذى يمكنه أن يحشد ما يشاء من جند، ومن يمكن أن يمده الخليفة فى دمشق بأضعاف أضعاف ما أعده ابن زياد لملاقاة الحسين؟

لا شك أن الإمام كان يعرف الأخطار المحدقة به.

ولا شك أيضًا أنه حسب المشكلة من كل جوانبها.

لا شك أن الحسين قد ذهب وهو يعلم تمامًا أنه ستكتب له الشهادة..!

ولعل الرؤيا التى رآها.. والتى رأى فيها الرسول عليه الصلاة والسلام.. كانت دافعاً له على الذهاب إلى كربلاء.. ليكون دمه الذكى نوراً يبدد الظلمات، ويمهد الطريق إلى إيقاظ الضمائر والقلوب.

فإذا ما تركنا التحليل العقلى كما يفعل المؤرخون ووقفنا عند الرؤيا التى رآها والتى دفعته إلى الذهاب إلى كربلاء.. فإنه من هذه الزاوية كان يرى أنه قدّر عليه الاستشهاد.. وأن عودته إلى مكة ليس بمقدوره.

وقد روى عن السيدة عائشة قولها:

«دخل الحسين بن علىّ على رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه، فنزل على رسول الله وهو منكب، فقال جبريل:

ـ أتحبه يا محمد؟

قال:

ـ وما لى لا أحب ابنى؟

فقال:

ـ فإن أمتك ستقتله من بعدك، فمد جبريل جناحه فأتاه بتربة بيضاء فقال: فى هذه الأرض يقتل ابنك هذا، واسمها ألطف. فلما ذهب جبريل من عند رسول الله ﷺ والتربة فى يده وهو يبكى قال:

« يا عائشة.. إن جبرائيل أخبرنى أن ابنى حسينًا مقتول فى أرض ألطف وأن أمتى ستفتن بعدى».

ثم خرج إلى أصحابه وفيهم علىّ، وأبوبكر، وعمر، وحذيفة، وعمار، وأبوذر، وهو يبكى فبادروا إليه قائلين:

ـ ما يبكيك يا رسول الله؟

فقال: أخبرنى جبرائيل أن ابنى الحسين يقتل بعدى بأرض ألطف، وجاءنى بهذه التربة، وأخبرنى أن فيها مضجعه!

* * *

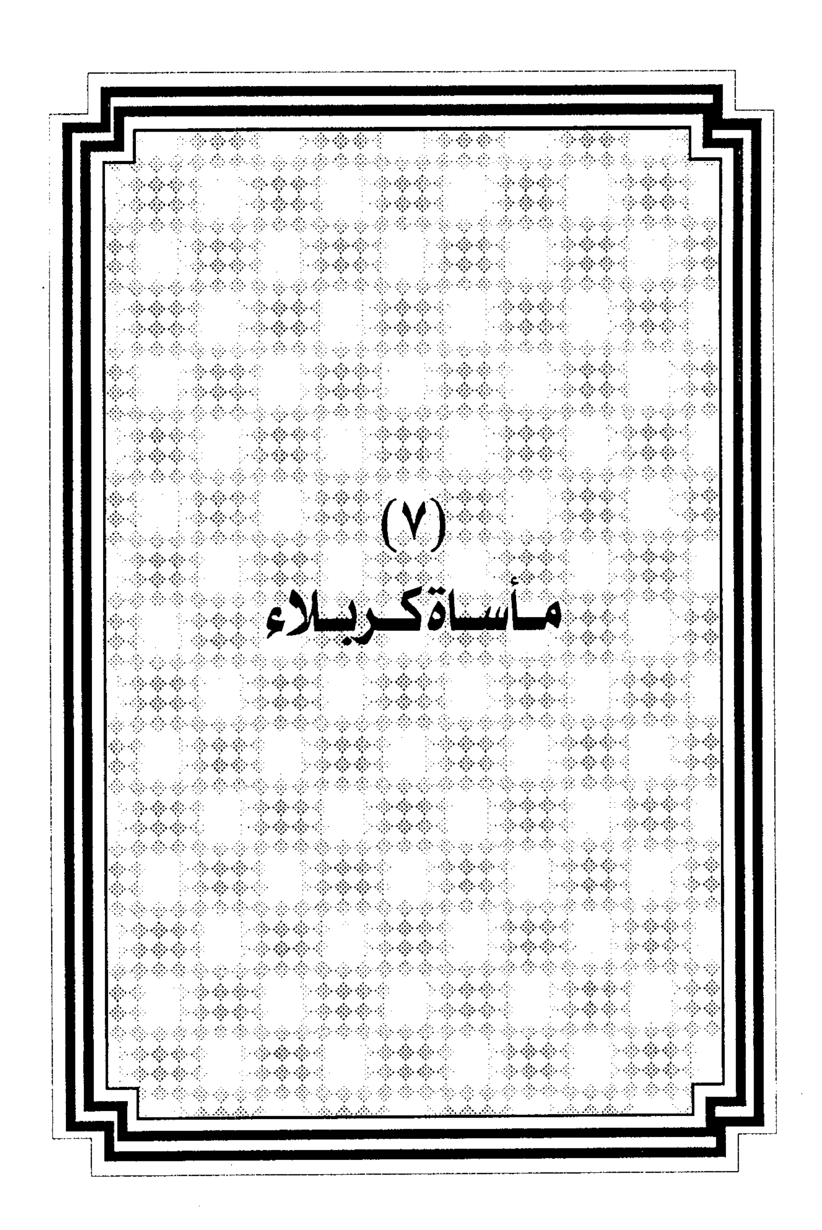
لقد ذهب الإمام الحسين يدفعه ـ كما قلنا ـ دافع قوى للاستشهاد.. لم يبال بشيء.. ولا خاف من شيء.. ولا اهتز من وعد أو وعيد.

لقد انطلق الإمام الحسين متوجهًا فى طريقه إلى العراق.. ليكون فى استقبالهم الحر بن يزيد فى ألف فارس.. يريد أن يأخذه إلى عبيد الله بن زياد.. حتى يبايع يزيد.. ولتأخذ الأحداث مسارها التى عرفها التاريخ.

فلم يكتف ابن زياد بإرسال الحر فى ألف فارس بل أرسل له أيضًا عمر بن سعد فى أربعة آلاف فارس!

وانتهى الأمر بالمعركة الحاسمة فى كربلاء.

* * *


(٧)
مأساة كربلاء

نحن الآن فى يوم التاسع من المحرم سنة إحدى وستين وكان قد خرج من مكة فى الثامن من ذى الحجة عام ٦٠ هـ. . وها هو الآن بعد مسيرته يحاصر فى «كربلاء».

وفى يوم التاسع من المحرم خرج الإمام الحسين من معسكره فرأى آل بيته وأنصاره فى عددهم الضئيل يتأهبون للقتال. . وعلى البعد رأى جيش ابن زياد يتقدم بقيادة عمر بن سعد فى أكثر من أربعة آلاف مقاتل بينما كل ما مع الإمام الحسين لا يزيد عن ٧٢ من آل البيت وبعض الذين أصروا على الاستشهاد معه من أنصاره. .

وكأنى بالسيدة زينب رضى الله عنها، وقد خرجت من خيمتها. . وتطل على الأفق. . والشمس تميل نحو غروب حزين. . وهى ترى شقيقها يواجه هذه الطغمة من اللئام، إنها تتمالك نفسها على أحزان عميقة، وهى تعلم علم اليقين أن أخاها سوف يلاقى ربه، وأن أحبابها من آل البيت سوف يلاقون حتفهم. . فهذه الآلاف التى حشدها ابن زياد لهم، قربا وتزلفا ليزيد ما كانوا يتركونهم للعودة من حيث أتوا. . إلا إذا أجبروا الحسين على مبايعة يزيد. . ولكن شخصية الحسين وتكوينه تأبى عليه الرجوع على ما أصر عليه.

فهو لن يبايع يزيد وقد خرج لقتاله.. وهم لن يتركوه يعود من حيث جاء.. ولن يكون الثمن إلا رأسه!

وكأنى بها تحبس دموعها وسط قفر هذا المكان وهى تنصت إلى الإمام الحسين، وهو ينادى عمر بن سعد.

واستمع عمر بن سعد إلى الإمام الحسين.

إن الحسين يطلب منه تأجيل القتال إلى الغد.

وقابل ابن سعد الاقتراح بسعة صدر.

لعله اعتقد أن الحسين سيعيد حساباته، وأنه سوف يؤثر السلامة على حرب لا أمل له فى الانتصار فيها.. وأنه سوف يبايع يزيد.. وينتهى الأمر.. ولكن ابن سعد قد ذهب خياله بعيدًا فليس الإمام الحسين الذى خرج من مكة عازمًا على أن يكون دمه الذكى علامة طريق أمام الجهاد فى سبيل الله، حتى يتقوض الحكم الأموى.

إن الإمام ما طلب هذه الهدنة.. هدنة لساعات.. لليلة واحدة.. إلا لسبب واحد .. فهو يعرف أنه هو المطلوب.. وأن العين عليه وحده.. فلماذا يقتل الآخرون!

استجاب ابن سعد، وسحب جيوشه بعيدًا عن معسكر الإمام الحسين حتى الصباح، وخرج الحسين إلى أصحابه ليقول لهم.. بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

- « أما بعد . .

فإنى لا أعرف أصحابًا خير من أصحابى . . ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتى فجزاكم الله خيرًا . . فقد بررتم وأعنتم . وإنكم لتعلمون أن القوم لا يريدون غيرى . . وأن يومى معهم غداً .

وإنى قد أذنت لكم جميعًا ، فانطلقوا فى غير حرج . . ليس عليكم منى ذمام .

هذا هو الليل قد غشيكم ، فانطلقوا فى سواده قبل أن يطلع النهار وأنجوا بأنفسكم » . .

ولعل السيدة زينب وهى تسمع كلمات أخيها ، وإيثاره أن يموت وحده ، ولا يقتل معه أتباعه . . كأنى بها ، وقد تساقطت من عينيها الدموع . . فهى تعرف أخاها . . إيمانًا . . وزهدًا . . وتقوى . . وورعاً إنها تعرفه . . العابد . . ندى اليد . . طيب القلب . . الشجاع الذى لا يهاب فى الحق لومة لائم . . إنه يؤثر أن يموت وحده . . ويستشهد وحده . . فبنى أمية لا تريد إلا الحسين . . !

ولعل السيدة زينب وهى ترى هذا المشهد الفريد . . وقد أسدل الليل ستارته السوداء على الكون ، قد تذكرت كلمة الإمام الحسين

قبل ذلك فهؤلاء الذين يطلبون دمه تقرباً وزلفى للسلطان.. فلا لانت قلوبهم.. إن قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة.

قال لهم: بعد أن حمد الله وأثنى عليه!

أيها الناس:

إن رسول الله ﷺ قال:

« من رأى سلطانًا جائرًا مستحلاً لمحارم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ، يعمل فى عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله.

ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفىء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله. وأنا أحق من غيرى، فقد أتتنى كتبكم، وقدمت على رسلكم ببيعتكم، أنكم لا تسلمونى ولا تخذلونى، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم.

فأنا الحسين بن على، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسى مع أنفسكم، وأهلى مع أهلكم فلكم فى أسوة.

وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتى من أعناقكم، فلعمرى ما هى لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبى وأخى

وابن عمى مسلم، والمغرور من أغتر بكم، فخطكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه.. سيغننى الله عنكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»

ولعل السيدة زينب رضى الله عنها، دار فى مخيلتها ما حدث من أحداث عقب خطبة أخيها تلك.. فقد حذره الحر من القتل..!

ولكن الإمام لا يخشى الموت فقد قال له الإمام:

- أفبالموت تخوفنى.. ما أدرى ما أقول لك؟

ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه، ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ فقال له:

- أين تذهب؟ فإنك مقتول.!

- فقال:

سأمضى وما بالموت عار على الفتى
إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلمًا
وأسى الرجال الصالحين بنفسه
وفارق مثبورًا يغش ويرغما

وما أكثر الأحداث التى تتابعت قبل أن يحاصر الحسين فى

كربلاء.. وها هو يطلب من عمر بن سعد أن يكون القتال فى الغد، حتى يقنع أتباعه بالتسلل فى ظلام الليل.

ولكنهم أبوا..

وصمموا على الاستشهاد معه..

كان الليل قد أسدل سدوله على الدنيا.. وبدأت أشعة القمر الشاحبة تخفف من وطأة الظلام.

عندئذ صاح العباس بن على:

معاذ الله والشهر الحرام.

ماذا تقول للناس إذا رجعنا إليهم؟

نقول تركنا سيدنا وابن سيدنا غرضا للنبال، ودرينة للرماح، وحرزًا للسباع، وفررنا عنه رغبة فى الحياة.

معاذ الله.. معاذ الله.

بل نحيا بحياتك.. ونموت معك.

وجاءت الأصوات من كل أتباعه أنهم حريصون على الموت معه، والاستشهاد بجانبه.. ولن يتراجعوا، ولن ينجوا بأنفسهم، متسللين فى الظلام.

وقال له ابنه علىّ وهو فى التاسعة عشر من عمره.

ـ ألسنا على الحق يا أبتاه؟

قال الإمام:

ـ بلى والذى أنفسنا بيده.

فقال له ابنه:

ـ إذن والله لا نبالى.

وتحدث أصحابه يعاهدونه على الموت فى سبيل الحق، فهم ما خرجوا لدنيا، ولكنهم خرجوا ابتغاء وجه الله.. وإظهار الحقيقة.

ويروى على بن الحسين متذكرًا هذه الليلة:

إنى جالس فى تلك العشية التى قتل أبى صبيحتها، وعمتى زينب تمرضنى، إذا اعتزل أبى فى خباء له وعنده مولى أبى ذر الغفارى، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبى يقول:

يا دهر أف لك من خليل

من صاحب أو طالب قتيل

وإنما الأمر إلى الجليل

كم لك بالإشراق والأصيل

الدهر لا يقنع بالبديل

وكل حى سالك السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثًا حتى فهمتها، فعرفت ما أراد، فخنقتنى عبرتى، فرددت دمعى، ولزمت السكون، فعلمت أن البلاء قد نزل، فأما عمتى «السيدة زينب» فإنها سمعت ما سمعت، وهى امرأة وفى النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها، وأنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت:

- واثكلاه..

ليت الموت أعدمنى الحياة..

اليوم ماتت فاطمة أمى، وعلىّ أبى، وحسن أخى.. يا خليفة الماضى، وثمال الباقى..

فنظر إليها الحسين فقال:

- يا أُخيه.. لايذهبن حلمك الشيطان.

قالت السيدة زينب:

- بأبى أنت وأمى يا أبا عبد الله.. استقتلت نفسى فداك.

فرد غصته، وترقرت عيناه وقال:

- لو ترك القطا ليلاً لنام.

قالت:

- يا ويلتى.. أفتغصب نفسك اغتصابًا؟ فذلك أقرح لقلبى

وأشد على نفسى.. ثم جلجلت بصوتها، وخرجت مغشيًا عليها. فقام إليها الحسين فصب على وجهها الماء وقال لها:

ـ يا أُخيه.. اتقى الله وتعزى بعزاء الله.. واعلمى أن أهل الأرض يموتون.. وأن أهل السماء لا يبقون.. وأن كل شىء هالك إلا وجه الله الذى خلق الأرض بقدرته.. ويبعث الخلق فيعودون.. وهو فرد واحد.

أبى خير منى.

وأمى خير منى.

ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة.

فعزاها بهذا ونحوه وقال لها:

ـ يا أُخيه.. إنى أقسم عليك فأبرى قسمى:

لا تجلجلى علىّ صوتًا. ولا تدعى على بالويل والثبور إذا أنا هلكت.

ثم جاء بها حتى أجلسها عندى، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها فى بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت إلى الوجه الذى يأتيهم منه عدوهم.

* * *

وظل طوال ليلته يصلى ويقرأ القرآن الكريم. .

وأصبح الصباح. . يوم العاشر من المحرم. . صلى الإمام الفجر وأصحابه. . وتأهبوا لما سوف تأتى به الأقدار واندلع القتال. . جيش الإمام اثنان وثلاثون فارسًا وأربعون راجلاً. . ومع صغر حجمه، فقد عزموا على الموت. . ورفع الإمام الحسين عينيه إلى السماء داعيًا ربه:

«اللهم أنت ثقتى فى كل كرب. . ورجائى فى كل شدة. . وأنت لى فى كل أمر نزل بى ثقة وعدة. . كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة منى إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته. . فأنت ولى كل نعمة، وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة».

وما كان يظن أعداؤه أنهم سوف يواجهون شجاعة منقطعة النظير، وفرسان منتهى آمالهم الاستشهاد رغبة فيما عند الله لا ما عند السلطان.

وبدأت معركة بالغة القسوة والضراوة. . وعندما استشهد أصحابه، نزل الحسين إلى المعركة. . بطلاً مغوارًا، وفارسًا لا يشق له غبار. . يتهادى سيفه على الرءوس فتتساقط، وعلى الهامات فتنحنى. . وتكاثروا على الإمام وعلى رأسهم عدو الله

شمر بن ذى الجوش الذى كان يريد قتل الحسين تقربًا وزلفى لعبيد الله بن زياد.

ويحتدم القتال .. ويبرز فى القتال على بن الإمام الحسين.. لم يصل إلى العشرين من العمر وهو يصيح فى الأعداء.

- أنا علىّ بن الحسين بن علىّ..

نحن ورب البيت أولى بالنبى..

تاالله لا يحكم فينا ابن الدعى.

ويقاتل بضراوة وشجاعة منقطعة النظير، وتتكاثر عليه السيوف والرماح حتى يقع فى أرض المعركة مثخناً بالجراح، ويراه الإمام الحسين فيحمله إلى الخباء حيث عمته السيدة زينب التى ترى ابن أخيها الذى كان ينبض حيوية وقوة وشجاعة، وها هو أصبح جثة هامدة تمزقها السيوف والنبال، فتبكى بكاءً حارًا وهى ترى قلوبًا لا ترق ولا تعرف الرحمة.. أى قلوب تلك التى تمزق بسيوفها أجساد أولاد النبى عليه الصلاة والسلام.

ووسط هذا الهول شاهد الإمام الحسين ابن أخيه القاسم بن الحسن، يستنجد به وهم يهوون عليه بالسيوف، حتى قتلوه، فتقدم الإمام الحسين وقتل قاتله، وانسكبت الدموع من عين الإمام وهو يرى جثة ابن أخيه، فيحتضنه وسط هول المعركة ويقول:

«عزيز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك.. أو يجيبك فلا ينفعك فى يوم كثر واتره وقل ناصره».

ويمضى النهار فى قتال مرير.. حتى أصبح الحسين وحده هو الذى يقاتل، بعد أن قتل جميع أصحابه.. وتكالبوا عليه حتى وقع على الأرض.. وتكاثرت عليه السيوف والرماح إلى أن استشهد.. ويقول الرواة وجد بالحسين حين طعن ثلاث وثلاثون طعنة وثلاثون ضربة..

ولم يكتف هؤلاء الناس بقتل الحسين، بل قطعوا رأسه، ليتقربوا بها إلى عبيد الله بن زياد.

* * *

مأساة تثير العديد من الأسئلة الحائرة والمحيرة.. ما الذى دفعهم بالتنكيل ببنى رسولهم كل هذا التنكيل؟

أى قلوب تلك التى تحملها هذه الصدور؟!

وهل هؤلاء الذين يصلون لم يعوا أنهم يصلّون على آل بيت الرسول فى هذه الصلوات، فكيف يذبحونهم وهم الذين يدينون بدين جدهم العظيم عليه الصلاة والسلام؟

هل السلطة والتقرب إلى السلطة والسلطان فى سبيل عرض دنيوى زائل فى مقابلة عداء الرسول وآل بيته، الذى أمرنا الله فى

قرآنه الكريم أن نضعهم فى المكانة التى تليق بمقامهم من الرسول عليه الصلاة والسلام؟

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ألم يخطر ببالهم تلك الآية الكريمة..!

ألم يعرفوا أن الرسول قال:

«أنا من حسين وحسين منى»..

أى أناس هؤلاء إذا كانت تنطبق عليهم أصلاً هذه الكلمة!

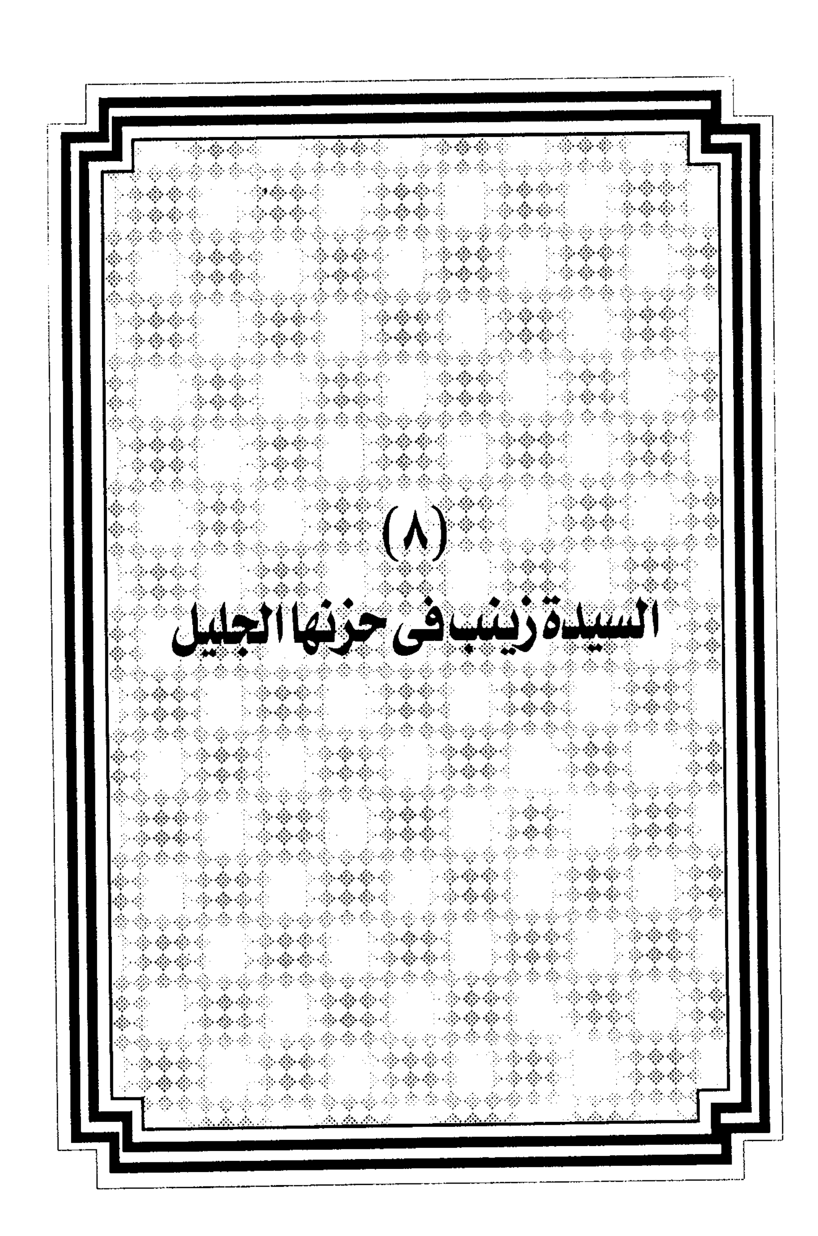
إنهم كلاب السلطة.. الذين يلعقون الأحذية ولا يحصلون إلا على أقل القليل.. حتى أقل القليل هذا لا بركة فيه، ولا يسمن ولا يغنى من جوع..

لقد استشهد الإمام الحسين..

وعندما تولى النهار، وغربت شمس هذا اليوم الحزين، وكان القمر يرسل أضواءه الشاحبة على هذه الأرض التى ارتوت بدماء أقرب الناس إلى رسول الله.. كان هذا يعنى أن هذه الأرواح الطاهرة انتقلت إلى أكرم جوار.

أما هؤلاء الذين اقترفوا هذه الآثام التى لا تغتفر فقد نالوا عقابهم فى دنياهم.. وليس لهم فى الآخرة من نصيب.

* * *


(٨)
السيدة زينب فى حزنها الجليل

كان يوم كربلاء يوم من أطول أيام التاريخ . .

ما ان بدأت تشرق شمسه حتى كان اللئام من جيش عبيدالله ابن زياد . . طلاب السلطة والجاه أمثال عمر بن سعد ، وشمر بن ذى الجوش . . وغيرهم ممن يريدون التقرب إلى السلطان باقتراف آثام وحشية ، وسلوكيات بربرية فى حق آل بيت الرسول الذين يدعون الانتساب إلى دينه .

إن نبى الرحمة والهدى والرشاد . . والذى أخرج هؤلاء الناس من الظلام الحالك إلى نور الإسلام الواضح القسمات نجد منهم هؤلاء الذين لا يعرفون الهدى ولا الرشاد . . فقد طمست على أعينهم غشاوة من الجهل الغبى ، والطمع المهووس . . ونسوا كل القيم والمبادئ وأبسط الأخلاقيات فى سبيل نظرة رضا وعطف من حاكم غبى متسلط ، يريد هو الآخر الزلفى والنفاق لسيده الجالس على عرش الخلافة يزيد بن معاوية .

وفى هذا اليوم الحزين الكئيب . . كانت السيدة زينب تعيش الأحداث بعقلها وقلبها وكل كيانه . .

إنها وهى السيدة الجليلة الورعة سليلة البيت النبوى ، وبنت الإمام علىّ الذى ملأ الدنيا شجاعة وعلمًا وثقافة . . وبنت فاطمة

الزهراء بنت رسول الله وسيدة نساء الجنة.. السيدة زينب وهى واقفة على أرض المعركة تجد أحب الناس إليها من عترة آل البيت يتساقطون تحت وطأة سيوف لا تعرف الرحمة.. وقلوب هرب منها الإيمان، وهى تواجه البيت النبوى لا بالصلوات عليهم كما يأمرهم دينهم، حتى أن يفعلونه فى صلواتهم.. ولكن ليوجهوا السهام والسيوف والنبال على أطهر القلوب، وأعز الناس.!

لم يحاربونه محاربة شريفة.. يتبعون فيها تقاليد الحرب كما وضعها الإسلام.. الذى نهاهم عن الإجهاز على جريح، أو قتل الأطفال، أو حتى تخريب الأشجار وتقطيعها.. بل منعوا عن آل بيت رسول الله الماء، وحرقوا خيامهم، ومثلوا بجثثهم، وطافوا برءوس الضحايا على أسنة الرماح فى شوارع الكوفة، وكأنهم بذلك حققوا انتصارات فى خدمة الإسلام والمسلمين.

رأت السيدة زينب كل ما كان يجرى على ساحة المعركة الغير متكافئة .. ورأت خسة القوم ونذالتهم.. وكأنهم وحوش فى أثواب آدمية يقتلون وينهبون ويسلبون بلا عقل ولا ضمير.

والعجيب أن بعضهم يعرف منزلة الحسين.. حتى أنهم كانوا يخشون أن يقترفوا إثم قتله، فكانوا يبتعدون عنه لعل غيرهم من هو أكثر منهم شراً أن يقترف هذا الإثم..!

وشاهدت السيدة زينب وسط هذا الهول عمر بن سعد.. والذئاب تتكاثر على سيد الشهداء.. ونظرت إلى عمر بن سعد وقالت له:

- يا عمر بن سعد.. أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟!

وإذا بعمر يخجل ويدير عينيه التى تساقطت منها الدموع!

وقد سمع المشاركون فى هذه المذبحة الحسين بن على.. وهو واقف كالأسد الجسور يدافع عن نفسه ويهاجمهم، وهو يتجه بكل كيانه إلى الله.

«اللهم امسك عنهم قطر السماء.. وامنعهم بركات الأرض..

اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقًا، واجعلهم طرائق قددا، ولا ترضى عنهم الولاة أبدًا، فإنهم دعونا لينصرونا، فعدوا علينا فقتلونا».

ورأت السيدة زينب وضاعة هؤلاء الذين طلبوا من الحسين المجىء إليهم لنصرته، فإذا بهم يقابلونه بوجه آخر.. ويد مدججة بالسلاح، ويجردونه حتى من ملابسه عندما خر البطل صريع الخيانة والنذالة والسماجة!

لقد تحملت السيدة الفاضلة سليلة البيت النبوى فى ذلك

اليوم ما هو فوق طاقة البشر.. وهى ترى الساحة مليئة بالجثث والدماء والأشلاء.. فلم تمتلك نفسها عندما أمر عمر بن سعد من يصطحب السيدة زينب، وبنات الحسين وأخوته، وعلى بن الحسين الذى أنقذه من الموت مرضه ـ للذهاب إلى دار الطاغية عبيد الله بن زياد ـ لم تمتلك السيدة زينب نفسها بعد كل ما مر بها من أهوال يوم كربلاء.. بأن صرخت وهى ترى جثة الإمام الشهيد!

يا محمـــداه.. يا محمـداه

صلى عليـك ملائـكة السمـاء

هـــذا الحسـين بالــعـراء

مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء

يا محمداه.. وبناتـك سبايـا

وذريتك مقتلة.. تسفى عليها الصبا

* * *

إن هؤلاء الذين نزعت أبسط القواعد الأخلاقية من قلوبهم نزعوا رءوس كل الشهداء.. ليطوفوا بهم فى شوارع الكوفة.. وعرضها على واليهم السفاح عبيد الله بن زياد..!

إن السيدة الطاهرة لم ينتهى أساها بانتهاء هذا اليوم الطويل.. جد طويل.. يوم كربلاء.. بل زاد أساها وهى تساق مع آل بيت رسول الله إلى عبيد الله بن زياد.. وإذا بها ترى رأس الحسين فى يد الطاغية وهو يعبث بقضيب معه بها.. حتى أن هذا التصرف الغبى لم يرق لأحد الحاضرين وهو زيد بن الأرقم، فصاح فيه.

ـ اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيت شفتى رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما ولم يتمالك الشيخ نفسه فبكى.

فقال له ابن زياد:

ـ أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك!

فخرج الشيخ وهو يحدث نفسه:

قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذل فبعدا لمن رضى بالذل.

* * *

دخلت السيدة زينب مع آل البيت فى هذا الجو المكفهر الحزين، وشاهدها ابن زياد ولم يعرفها، ولفت نظره صمتها

وحزنها العميق.. وسأل عن هذه التى دخلت مجلسه، ولم تجبه.. كان الأسى والحزن والفواجع التى مرت بها فوق كل احتمال. وأعاد اللئيم سؤاله.

فقالت إحدى إمائها:

- هذه زينب ابنة فاطمة..

فقال لها بكل غرور وصلف السلطة، وبلغة المنتصر المتشفى الذى يفيض حقدًا ولؤمًا:

- الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثكم.

وبكل جلال المتقين الصابرين قالت له:

- الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد ﷺ، وطهرنا تطهيرا لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر.

ولكن ابن زياد بدلاً من أن يخجل، ويؤثر الصمت، ويلوذ بالعقل، ويحاول أن يبرر ما حدث حتى ولو بمعسول الكلام.. بدلاً من أن يتحدث بما يليق من مواقف مع عقيلة بنى هاشم السيدة زينب فإذا به يفصح عن حقده الدفين، وقلبه الأسود وصدره الممتلىء غيظًا، وينضح جهلاً.

قال لها: فكيف رأيت ما صنع الله بأهل بيتك؟

بإيمان الصابرين أجابت:

ـ كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجون إليه وتخاصمون عنده..

وأمام بلاغة السيدة زينب، ورباطة جأشها، وحديثها العميق الممتلئ بالحكمة، والفهم، وقدرتها على رد هذا الطاغية والتقليل من شأنه، حتى جعلته يبدو ـ بمنطقها ـ صغيراً.. فإذا به يتحدث وكأن الشيطان يتحدث بلسانه قائلاً:

ـ قد أشفى الله نفسى من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك!!

وكانت هذه الكلمة قد مست وترًا حساسًا فى قلب السيدة الفاضلة.. التى تذكرت أخاها الشهيد.. وتذكرت ما فعله به البغاة.

وكأن شريط زاكرتها قد مر بكل هذه الأحداث .. فبكت.. وغلبتها مشاعر الأنوثة فقالت:

ـ لعمرى.. لقد قتلت كهلى، وأبرزت أهلى، وقطعت فرعى، واجتثثت أصلى، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

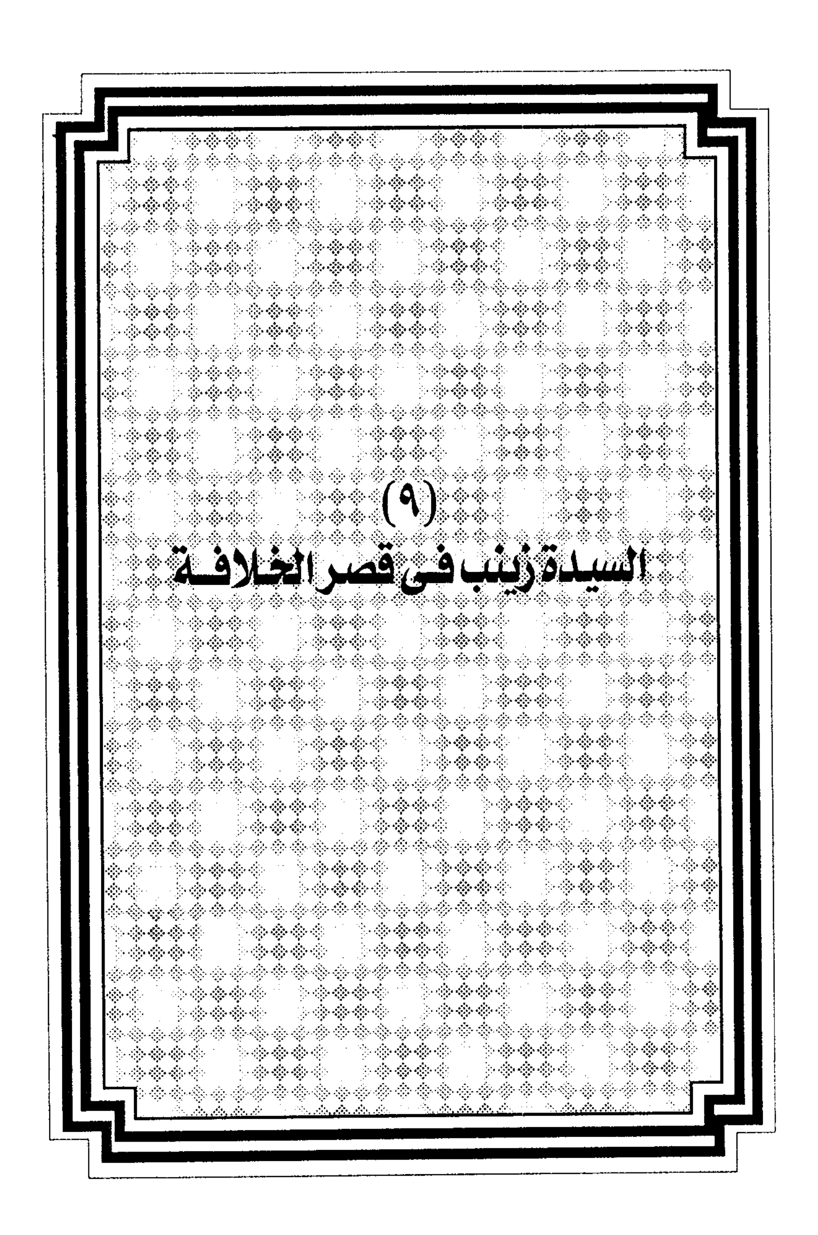
فقال لها عبيد الله:

ـ هذه شجاعة، لعمرى كان أبوك شاعرًا شجاعًا.

وحاول عبيد الله أن يقتل على بن الحسين، إلا أن عمته زينب، احتضنته، وطلبت منه أن يقتلها معه!!

فصمت عبيد الله بن زياد، وكتب لعلى بن الحسين(على زين العابدين).. النجاة من مجازر بنى أمية.. بفضل عمته زينب.

* * *



(٩)
السيدة زينب فى قصر الخلافـة

أرسل عبيد الله بن زياد السيدة زينب وأخواتها وأقاربها إلى يزيد بن معاوية فى دمشق ليرى فيهم رأيه.. كما أرسل رأس الإمام الحسين له كدليل على وفائه وحرصه على إرضاء يزيد بن معاوية.

والذين قرأوا ما كتب عن يزيد بن معاوية، وحاولوا أن يعرفوا شخصيته، بعيدًا عن التأثيرات السياسية المذهبية التى كان يرى من خلالها.. نرى شخصية ذكية وعقلية متفتحة، تأثر بوالده معاوية بن أبى سفيان فى ذكائه وصبره ودهائه.

لم يكن يزيد ساذجًا..

ولم يكن من الذين يأخذون الأمور باستخفاف بل كان كما يقول عنه الرواة متقد الذهن، وإن كان فى أول أمره بالخلافة، وفى زمن أبيه.. مستهترًا يحب الخمر.. واللعب.. واللهو.. إلا أنه عندما ولى الخلافة أخذ الأمور بمأخذ الجد.. بدليل أن الفتوحات فى عهده واصلت تقدمها سواء فى الشمال الإفريقى حيث وصل قائدة عقبة بن نافع زحفه فى الشمال الأفريقى حتى شواطئ الأطلنطى، وهو المشهور عنه قوله عندما وصلت خيوله إلى شواطئ الأطلنطى، أن خاض بحصانه مياه المحيط، حتى بلغت المياه صدره، ورفع بصره إلى السماء وقال:

«اللهم إنى أشهدك أن لا مجاز للخيول فى هذا الماء، ولو وجدت مجازًا لجزت إلى الغرب فى سبيل الله».

كما عبرت جيوشه أسيا الوسطى وتوغلت فى بلاد ما وراء النهر عندما عبرت نهر جيحون.

ويزيد نفسه أرسله والده معاوية على رأس جيش لمحاصرة القسطنطينية سنة (٤٩ ـ ٥٠هـ).

وكانت أم يزيد «ميسون بنت محدل».. بدوية شاعرة، وعندما تزوجت معاوية جرفها الحنين إلى الصحراء.. حيث الخيام.. وامتداد الصحراء.. فقد كان يستهويها كشاعرة جمال الطبيعة، وسحر الوجود.

وسمعها ذات يوم زوجها وهى تقول شعرًا تعبر فيه عن خبايا نفسها:

لبيت تخفـــق الأرواح فيه
أحـــب إلىّ من قصـــر منيف
وأكل كسيرة من كسر بيتى
أحب إلىّ من أكل الصنـوف
وأصوات الرياح بـكل فج
أحب إلىّ من نقر الدفـــوف

ولبس عباءة وتقــر عيـنى
أحب إلىّ من لبس الشفوف
وكلب ينبح الطراق حولى
أحب إلىّ من قـط ألــوف
وبكر يتبع الأظعان صعب
أحـــب إلـىّ من بغل زفوف
وخرق من بنى عمى ضعيف
أحب إلىّ من علـج عنيـف

والعلج العنيف هو الحمار الوحشى السمين.

ويقول الرواة أن معاوية عند سمع هذه الأبيات قال:

ما رضيت ابنة محدل حتى جعلتنى علجا عنيفا.. وعندما طلقها معاوية قال البندارى فى خزانة الأدب قال لها:

ـ كنت فَبنْتِ.

فأجابته:

ـ ما سررنا إذ كنا، ولا أسفنا إذ بنا.

ويزيد ولد فى دمشق عام ٢٦ هـ، ونشأ فى جو ملئ

بالرفاهية.. يطلب فتجاب كل طلباته، وأراد والده أن ينشئه نشأة صحيحة فأرسله إلى حيث أخواله (بنى كلب) ليعيش طفولته فى البادية فاستقام لسانه، واتسعت مداركه، بجانب تأثره الكبير بلا شك بوالده داهية العرب الشهير.

* * *

ومن هنا يحتار الباحث وهو يقرأ أحداث كربلاء وما تليها من أحداث.

فبعض الرواه يصورون هذه الأحداث وكأن يزيد لا علم له بها.. فلا أمر بقتل الحسين، ولا علم بمسيرته من الحجاز إلى العراق.. وكأن الأمر كما صوره هؤلاء الناس أن الحسين انطلق إلى العراق، عندما جاءته رسائل ورسل أهل العراق للذهاب إليها لمبايعته.. وانطلق بآل بيته صوب العراق.. كل ذلك والخليفة لا يعرف!!

وهل يمكن لهذا الخليفة الذى كان كل همه، أو أهم ما يشغله هو أن يبايعه أعلام أبناء الصحابة وعلى رأسهم الحسين، ثم عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر.. والذى سبق لوالده الضغط عليهم لمبايعته، ثم أرسل يزيد بعد ذلك فى طلب هذه المبايعة.. فإذا ما تحرك الحسين، ومن خلفه العيون والجواسيس، متجهًا صوب العراق.. فإذا بالأخبار تنقطع عن الخليفة.. ولا

يعرف بما حدث، إلا عندما يرسل واليه عبيد الله بن زياد برأس الحسين، مع من يخبره بما جرى من أحداث؟!

فيستغرب يزيد لما حدث ويقول لمن جاءه بهذا الخبر:

« قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.. لعن الله ابن سمية.. أما والله لو أنى صاحبه لعفوت عنه.. فرحم الله الحسين».

لا يعقل أن يحدث كل هذا الذى حدث.. من تحرك الحسين بأتباعه.. ثم انفضاض البيض عنه، وتخلى من استقدموه عن وعودهم.. ثم التصدى له بكل هذا الجيش بقيادة عمر بن سعد، من قبل عبيد الله بن زياد فى العراق.. ثم حدوث هذه المجزرة.. كل ذلك بدون علم يزيد!!

شى لا يمكن تصديقه.. لأنه ليس من المنطق ولا من المعقول أن يتصرف أحد ولاة الخليفة، وتطلق يده بالقتل، لشخصية بالغة الأهمية كشخصية الإمام الحسين.

فالإمام الحسين لم يكن مجرد رجل عادى من رعية الدولة الأموية. ولكن كان مطالب بالخلافة.. وكان له أتباعه الذين لا يحصون عدداً.

وكان أيضاً له محبوه باعتباره حفيد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وابن ابنته فاطمة الزهراء!

فمن المستحيل أن يجرى كل ما جرى على الساحة، بدون علم الخليفة، الذى تصوره بعض الروايات وكأنه لم يعرف شيئًا.. ولا دار بخلده ما جرى من أحداث.. وإنه فوجىء برأس الحسين، وبمن جاء إلى دمشق ليبشره بالقضاء على خصمه الحسين، والدليل فى يده.. رأس الحسين؟!!

وتقول الروايات أن يزيد عندما سمع من جاءه بهذا الخبر يقول: أنه أتى باللئام الفجرة.

قال يزيد: ما ولدت أم محفز شر وألأم!

* * *

وتقول هذه الروايات أيضًا: أنه عندما وضعت رءوس الحسين وأهل بيته أمام يزيد.

قال:

يفلقن هاما من رجـال أعزة

علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وواضح من الحوار الذى دار بين يزيد، وبين السيدة زينب رضى الله عنها.. فى هذا الموقف الصعب التى وقفته بشجاعة منقطعة النظير، وصبر يفوق صبر البشر.. وهى ترد على طاغية مستبد تسنده هيبة الحكم وجور السلطان، وبين سيدة فقدت أعز

الناس.. نرى كم كان يزيد داهية.. سياسى بالغ الحنكة فى معالجته للأمر.. داهية بالغ الدهاء فى محاوراته وجداله.. يشتد عندما يرى فى الشدة ما يقوى حججه، ويلين عندما لا يجد هناك مفرًا من اللين..

لم يكن موقفه فى حواره مع السيدة الجليلة حوار من يحاول أن يصل إلى العدل، وصولاً إلى الحقيقة، ولكن حوار من يريد أن يظهر شماتة وانتصارًا.

وكانت هى فى حوارها تستند إلى الإيمان العميق بربها، والإيمان بعدالة قضية الإمام الحسين، وأنه لم يخرج إلا لله وفى سبيل الله.. كما كانت شديدة الاعتزاز بنسبها الطاهر.. وصلتها بأعظم رسل الله..

ولم يكن يزيد يجهل هذا فهو يعرف نسبها من الرسول عليه الصلاة والسلام.. وهو لا يمكن أن ينسى وصية والده له بأنه لو ظفر بالحسين فلا ينس نسبه من رسول الله.. فلماذا نسى يزيد كل ذلك؟!

لماذا نكل أتباعه بالحسين كل هذا التنكيل الذى لا يقره دين ولا عرف ولا تقاليد؟!

وهل من التقاليد أو الدين التمثيل بجثث الناس حتى لو كانوا أعداء!

لقد سبق أن قامت جِدَّة (يزيد).. هند.. بالتمثيل بجثة سيد الشهداء حمزة فى معركة أحد.. ولقد غاظ ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى أنه قال بأنه سيمثلن بسبعين من الأعداء ولكن القرآن الكريم نهاه عن ذلك عندما نزل قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

وكان تعليق الرسول الكريم عندما نزلت هذه الآية الكريمة -نعم- نصبر.

الإسلام لم يبح المُثلة.. ولا أقرها.. ولا وافق عليها.. والتقاليد العرفية تأبى هذه الأعمال الوحشية.

فما بالهم فعلوها مع الحسين؟!

* * *

إن يزيد الذى كان يردد هذا البيت من الشعر:

يفلقن هامًا من رجـال أعـزة

علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فإذا كانت هامات الرجال الذين قتلوا عزيزة عليه حقيقة.. وكان هو يرى عقوقهم.. فأين العفو عند المقدرة؟!

وأين الشيم العربية الأصيلة؟!

وأين النخوة التى كان ينبغى أن يكون عليها خليفة يملك أمور الناس؟!

إن هذه السقطة التى وقع فيها الحكم الأموى فى خلافة يزيد، هى التى لوثت تاريخه كله، بل تاريخ بنى أمية كله.

فقد كان يزيد كما قلنا إنسانًا ليس بالخامل ولا قليل الحيلة، ولا ينقصه الذكاء. ومن الصعب أن يصدق عاقل أن ما وقع من أحداث كانت من وراء ظهره!!

وإلا لحاسب عبيد الله بن زياد أشد الحساب، وعاقبه أشد عقاب، لأنه أحدث كل هذه الفتنة دون الرجوع إليه!

فقد ظل ثأر الحسين مطلبًا من مطالب الذين يرفضون الظلم والطغيان، وترك جرحًا عميقًا فى قلوب كل المسلمين.. بدليل أن كل من اشترك فى هذه الجريمة لم ينج من العقاب، عندما قامت ثورة المختار.

* * *

إن يزيد قال وقد وضعوا أمامه رأس الحسين كما قلنا من قبل: أما والله يا حسين، لو أنا صاحبك ما قتلتك!

ومع ذلك.. عندما دخلت عليه السيدة زينب رضى الله عنها.. وآل بيتها.. نظر يزيد إلى علىّ وقال له:

يا عليّ. . أبوك الذى قطع رحمى، وجهل حقى، ونازعنى سلطانى. . فصنع الله به ما قد رأيت!

أسلوب أقرب إلى التشفى منه إلى أى شىء آخر فقال له على بن الحسين.

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وربما أعجبت هذه البلاغة يزيد فطلب من ابنه خالد أن يرد عليه!!

ولكن أنىّ له ذلك. .

فقال له يزيد قل:

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[الشورى: ٣٠].

* * *

ولم يعجب يزيد ما كانت عليه النساء من رث الثياب، وما أضافه عليهن طول السفر من جهد. . فقال:

قبح الله ابن مرجانة لو كان بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم، ولا بعث بكم هكذا. .؟!

جلست السيدة زينب وحولها أقاربها.. وأختها فاطمة بنت عليّ.. وإذا برجل من أهل الشام ينظر إلى فاطمة، ثم يطلب من يزيد أن يهبها له!!

وتشبثت فاطمة بثياب أختها السيدة زينب فإذا بالسيدة الجليلة تقول له:

- كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك وله..

وهنا ينبرى لها يزيد، وقد فقد سيطرته على نفسه قائلاً:

- كذبت والله، إن ذلك لى، ولو شئت أن أفعله لفعلت!

ونسى يزيد فى غمرة غضبه أن فاطمة بنت عليّ ليست رقيقًا، إنها بنت الإمام.. ولكنه الغضب والهوس الذى أعماه..
وقاطعته السيدة زينب:

- كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا.

وأخرجه شجاعة بنت الزهراء عن وعيه، فإذا به يخرج عن الوقار الذى ينبغى أن يكون عليه الخليفة فقال لها:

- إياى تستقبلين بهذا.. إنما خرج من الدين أبوك وأخوك!
قالت له:

ـ بدين الله، ودين أبى ودين أخى وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك . .

فقال لها:

ـ كذبت يا عدوة الله!

واستجمعت السيدة الفاضلة . .سليلة البيت النبوى شجاعتها وهى تقول له موضحة له حقيقة نفسه.

ـ أنت أمير مسلط . . تشتم ظالمًا . . وتقهر بسلطانك.

وحاول يزيد أن يكبح جماح نفسه . . وأن يعيد إلى نفسه توازنها . . إنه يخاطب سيدة نشأت فى أعرق بيت، وتربت على أخلاق الرسول . . وهى لا تخشى أحدًا إلا الله . . ولا تخاف أحدًا إلا خالقها . . كما أنها فى موقف من أصعب المواقف التى تمر بها امرأة . . امرأة فقدت أخاها . . وأولاد أخيها . . وأقاربها . . وها هى اليوم تقف أمام الخليفة وبدلاً من أن يبرر لها ما حدث، وأنه سوف يعاقب الجناة . . ما دام يدعى أنه لم يكن يعرف بما يحدث، وإلا فما كان اتخذ من الحسين ومن معه هذا الموقف العنيد . . إذا به ينصب من نفسه قاضيًا . . ويجعل من ساحة قصره محكمة يحاكم فيها من تبقى حيا من آل محمد؟!

إن كلمة السيدة الجليلة زينب قد جعلته يفيق من وهم السلطة . . وقوة السلطان.

«أنت أمير مسلط.. تشتم ظالمًا.. وتقهر بسلطانك»..

كلمة أحس وقعها يزيد بما له من حس مرهف كشاعر.. وهو يعرف التقاليد العربية الأصلية فى معاملة النساء..

ومع ذلك فقد دفعه حقده الذى توارثه على بنى هاشم أن يثور هذه الثورة حتى على النساء من آل البيت.

لقد أيقظت هذه الكلمة ضميره.. أو خاطبت منطقة حساسة فى نفسه.. فإذا به يفيق.. وإذا به يحاول أن يطفئ جذوة الغضب فى نفسه.. ويذهبن إلى داره.. تمهيدًا أن يرجعن معززين مكرمين إلى المدينة.

وعندما انتهت أيام الضيافة.. الذى أحسن فيها يزيد الضيافة وخرج آل البيت متوجهين إلى المدينة، فى حراسة أحد جنود الشام.. مع تزويدهم بكل ما يحتاجونه فى رحلة العودة.

قال يزيد وهو يودعهم لعلى بن الحسين:

«لعن الله ابن مرجانة أما والله لو أنى صاحبه (يقصد الإمام الحسين) ما سألنى خصلة أبدًا إلا أعطيته إياها. ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدى.. ولكن الله قضى ما رأيت» !!

ورجع الركب الحزين إلى المدينة..

إلى مدينة رسول الله..!.

وحاولت السيدة زينب وأختها فاطمة أن تعطى الذى أحسن صحبتهم وهما فى طريقهما إلى المدينة بعض حليهما.. رفض الرجل قائلاً أنه ما فعل ما فعل إلا حبًا للرسول وآل بيته.

* * *

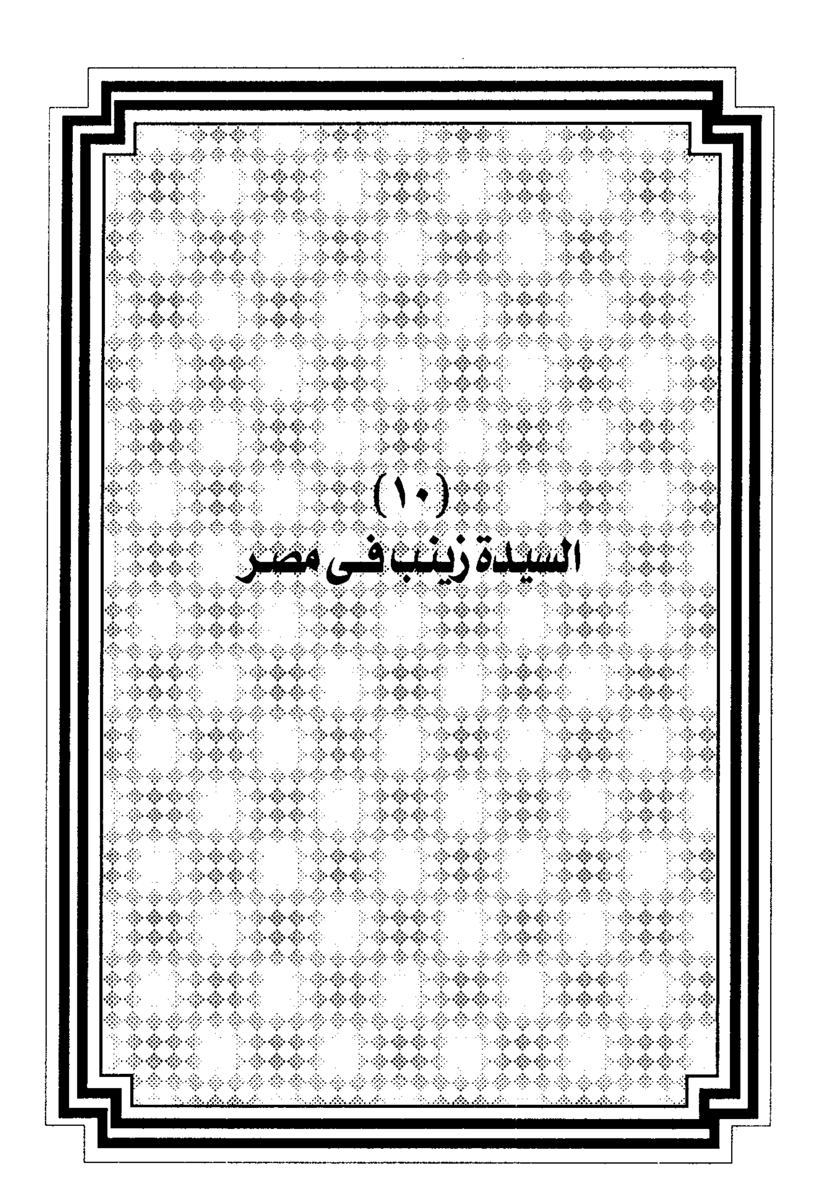
رجع الموكب الحزين إلى المدينة..

ولكن أحداث كربلاء ظلت عالقة فى أذهانهم، وأذهان ما تلى ذلك من أجيال.

وما زلنا نقرأ عنها فتقشعر منا الجلود.. وترسم العديد من علامات الاستفهام حول ما جرى.. ولا جواب.. بل إن الخليفة الأموى العادل عمر بن عبد العزيز قال عن هذا اليوم المشئوم.

«لو كنت من قتلة الحسين، وغفر الله لى، وأدخلنى الجنة. لما دخلتها حياءً من رسول الله ﷺ».

* * *


(١٠)
السيدة زينب فى مصر

كان من الطبيعى وقد عادت السيدة زينب رضى الله عنها إلى المدينة، أن يتوافد الناس عليها ليعرفوا ما حدث لها ولآل البيت فى كربلاء.

وكان من الطبيعى أن يتعاطف الناس معها للظلم الذى تعرض له الإمام الحسين.. سواء من هؤلاء الذين طلبوا منه الذهاب إليهم ومبايعته والجهاد معه ضد بنى أمية.. أو من بنى أمية أنفسهم لأن الخصومة لم ترتفع بهم إلى أخلاقيات الإسلام وقيمه ومبادئه.

لا تسامح.. ولا رحمة.. ولا حتى مفاوضات للوصول إلى أسلم الطرق لحقن دماء المسلمين..

وكان من الطبيعى أن يشعر الناس فى مدينة رسول الله بمدى الظلم والانتقام البشع الذى صبه الأمويون على الناس.

وإذا كانوا يفعلون ذلك بآل بيت النبى فكيف يفعلون بغيرهم ممن لا ينتسبون إلى البيت النبوى.. ولا إلى من كان والده خليفة للمسلمين وقائد مسيرتهم.

وكان من الطبيعى أيضًا أن تكون عين والى المدينة على آل البيت، وعلى الناس، يرصد تحركاتهم وكلماتهم.. وأصبح جو المدينة يظلله الغيوم.

ولاذت السيدة زينب بربها.. فتكثر من العبادة.. وتكثر من كل ما يقربها إلى الله، وقد احتسبت عند الله من لقوا ربهم فى هذا اليوم الحزين، الذى لم تغرب شمسه إلا بعد نهار دامى كئيب.. فصلت فيه أجساد الحسين وأتباعه عن رءوسها.. ومُثِّل بهم بما لم يعرف له التاريخ مثيلاً من قبل.

لابد أن أطيافاً كثيرة من الذكريات طافت برأس السيدة الجليلة.. على هذه الأرض الطيبة جاء جدها العظيم.. ليآخى بين المهاجرين والأنصار، ويعلن ميثاق المدينة يعطى اليهود حرية العبادة ولا يعتدوا على الآخرين.. وبأنصاره والمهاجرين.. وحد شبه الجزيرة العربية كلها تحت راية الإسلام، بعد أن خاض المعركة تلو المعركة.. حتى عم نور الله.

وها هم المسلمون وقد خرجوا بفضل الإسلام إلى خارج شبه الجزيرة العربية، وكونوا امبراطورية تمتد من الصين حتى المحيط الأطلنطى.. ومع ذلك فقد جاء منهم من يقتل أحفاده وأولاده فى كربلاء..!

لابد أن الأحزان كانت تعتصرها.. وقد تجاوزت عقدها الخامس!!..

وهذه الأطياف الحزينة تمر بها..

لقد فرضت عليها الظروف أن تلعب أخطر الأدوار السياسية فى ظروف بالغة القسوة.

كم آست من جراح.. وكم واست.. وكم وقفت تدافع عن أخيها وعن أهلها.. ولكن الأقدار كانت قد سلكت بهم وبها طريقًا آخر..

ولم يبق إلا رجع صدى الأحزان والآلام..

وربما وهى بالقرب من قبر جده العظيم عليه الصلاة والسلام يتداعى إلى ذهنها هؤلاء الذين خدعوا أخاها الحسين، فطلبوا أن يقبل عندهم، وعندما لبى طلبهم أداروا له ظهورهم.

وسيظل التاريخ يردد هذه الكلمة التى خرجت من قلب حزين.. قلب السيدة زينب رضى الله عنها، وهى تواجه هؤلاء الذين تركوا الحسين وأهله فريسة للرماح المحمومة، والسيوف الآثمة نجاة بأنفسهم.. فإذا بهم يستقبلون السيدة الجليلة بالدموع.. فقالت لهم:

أما بعد.. يا أهل الكوفة:

أتبكون. فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرفة، إنما مثلكم مثل التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا.. فأبكوا كثيراً.. وأضحكوا قليلاً.. فقد ذهبتم بعارها وشنارها.. وكيف ترخصون قتل سبط الرسول، وهو سيد شباب أهل الجنة؟!!

أتدرون أى كبد فريتم؟!

وأى دم سفكتم؟!

وأى كريمة أبرزتم؟!

لقد جئتم شيئًا إداً تكاد السماوات ينفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا».

وربما فكرت «أم هاشم» فطال بها التفكير عما حدث للأسرة النبوية.. وشريط الزكريات يشدها إلى أرض كربلاء.. وموقفها من ابن زياد.. وموقفها من يزيد بن معاوية.. والتى عبرت عنه بكلمات هى أقطع من حد السيف عندما قالت ليزيد:

- أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكتاف السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى. أن بنا هوانا على الله، وأن بك عليه كرامة؟

إن الله إن أملكَّ فهو قوله:

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

أيام عصيبة أشد إيلامًا كانت تراود خيالها عندما تتداعى الزكريات عندما رجعت إلى المدينة.

* * *

ومع ذلك لم يتركوها . . لقد خشوا مع تزايد تعاطف الناس معها أن تثار فتنة . . وقد رأوا من شجاعة «أم هاشم» . . وبلاغتها، وقوة إقناعها وما يذكرهم بوالدها الإمام على، وأخيها الإمام الحسين، فإذا بوالى المدينة يطالبها بأن تختار أى بلد غير المدينة لتعيش فيه . . فاختارت أن تعيش فى مصر .

* * *

وهناك من المؤرخين من يرى أنها لم تعش طويلاً بعد هذه الحادثة، وأنها كانت تريد أن تظل بقية حياتها بجانب قبر جدها عليه الصلاة والسلام، فلما ماتت دفنت فى البقيع .

ولكن قول أغلب المؤرخين كما نرى فى المراجع أنها جاءت إلى مصر فى شعبان سنة ٦١هـ وقد سبقتها إلى مصر مناقبها الجليلة، فكان فى استقبالها والى مصر مسلمة بن مخلد الذى استقبلها بما يليق بحفيدة الرسول عليه الصلاة والسلام . . كما استقبلها شعب مصر المحب لآل بيت نبيه عليه الصلاة والسلام بما يليق بمكانتها ومنزلتها من رسول الله .

ولقد أنزلها والى مصر تكريمًا لها بداره، وظلت بها لا تبرحها إلى أن وافاها الأجل المحتوم فدفنت فى نفس المنزل . . الذى أصبح مسجدها المعروف .

لم تمكث فى مصر إلا عام حيث رحلت إلى أكرم جوار عام ٦٢هـ.

* * *

ومسجد السيدة زينب كما تقول الدكتورة «سعاد ماهر» فى كتابها (مساجد مصر).. يقع فى الميدان الذى يعرف باسمها.

وكان قبل ذلك يعرف باسم قنطرة السباع نسبة إلى نقش السباع الموجود على القنطرة التى كانت مقامة على الخليج الذى كان يخرج من النيل عند فم الخليج وينتهى عند السويس، وكانت السباع (رنك) شارة الظاهر بيبرس الذى أقام القنطرة.

وفى عام (١٣١٥هـ - ١٨٩٨م) تم ردم الجزء الأوسط من الخليج، وبردمه اختفت القناطر، ومع الردم تم توسيع الميدان، وعند عملية التوسيع اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب الذى كان الوالى العثمانى على باشا قد جدده سنة (٩٥١هـ -١٥٤٧م) ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتخذا سنة (١١٧٠هـ- ١٧٦٨م). ومنذ اكتشاف واجهة الجامع فى القرن التاسع عشر، أصبح يطلق على الميدان بل والحى كله اسم عقيلة بنى هاشم.

وقد أقامت وزارة الأوقاف سنة ١٩٤٠ المسجد الموجود حاليًا، ويتكون من سبعة أروقة موازية للقبلة يتوسطها صحن مربع مغطى بقبة، ويقابل القبلة فيه ضريح السيدة زينب.

ويتقدم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان يوجد بهما مدخلان رئيسيان يفصل بينهما مستطيل تعلوه (شخشيخة). وفى الطرف الشمالى الغربى يوجد ضريح سيدى العتريس.

وقد قامت الوزارة بعدة توسيعات هى التى تراها على المسجد الآن.

* * *

وتبقى كلمة

الحديث عن آل البيت هو الحديث عن المثل العليا، والقيم النبيلة، والتضحية والإيثار.

ومعرفة بعض جوانب ما مروا به فى حياتهم يعطينا صورة مشرقة عن هذه الشخصيات المبهرة الذين عاشوا حياتهم لله وفى سبيل الله.. كما كانت حياتهم إثراء للحياة بما قدموه للآخرين من قيم ومثل عليا وكل ما يجسد فضائل الإسلام.

وكانوا بجانب تضحياتهم وإيثارهم وحبهم للآخرين.. عاملين بكتاب الله وسنة نبيه.. ورغم ما امتحنوا به من أحزان وآلام، فقد ظلوا كما هم عليه من حُسن أخلاق، وتمسك بتعاليم الدين، والحرص على أن يكونوا قدوة للمؤمنين.

وما قرأت أحداث التاريخ الإسلامى إلا برز فى ذهنى العديد من علامات الاستفهام.. وأنا أرى المذابح البشعة على طول هذا التاريخ.. من خلال الفتنة الكبرى وأحداثها فى زمن عثمان وعلى، وكربلاء فى زمن يزيد، وما فعله زياد بن أبيه وابنه عبيد الله بن زياد، والحجاج بن يوسف الثقفى فى العصر الأموى.. والمذابح الدموية للأمويين أنفسهم مع بداية الحكم

العباسى، والتنكيل بأحفاد علىّ على يد أبناء عمومتهم من العباسيين.. وأقول لنفسى لماذا صبغ التاريخ الإسلامى بالدماء؟

إنها السياسة.. ولعبة السياسة.. والتكالب على الحكم.. فإذا صح ما قيل أن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى.. وكان عالمًا ودارسًا ومتفقهًا فى الدين.. ولكنه عندما آلت إليه الخلافة نظر إلى القرآن الكريم وقال:

- هذا آخر عهدى بك!!

إن صح - ما نسب إليه - وهو يعنى أنه سيلى الخلافة ويحكم بالهوى وما تمليه أغراضه السياسية من مكر وحيلة ودهاء.. فإن هذا يعنى أن السياسة عندما تجنح إلى الهوى.. والمطامع الشخصية.. وحب السيطرة والتملك هى آفة الآفات.. وهى مفسدة.. وهى التى لونت بعد فترات التاريخ الإسلامى بلون الحداد.

فتاريخ بنى أمية ليس كله تاريخًا قاتمًا فاسدًا، فإليهم يرجع الفضل فى انتشار الإسلام من الصين حتى المحيط الأطلنطى، ومن الشمال الأفريقى عبروا إلى أوروبا وضموا أسبانيا، وتوغلوا حتى الجنوب الفرنسى.. وكان من آمال موسى بن نصير فاتح الأندلس، أن يعبر فرنسا، ويستولى على إيطاليا، ويفتح القسطنطينية، ويصل منها إلى دمشق.. ويضم كل هذه المسافات

الشاسعة إلى الإسلام، ولكن الوليد بن عبد الملك منعه عن ذلك لأنه كان يريد أن يدعم حكم الإسلام فى البلاد المفتوحة ويتذوق الناس فيها مآثر الإسلام وقيمه وعقائده! . .

المشكلة إذن ليست فى الإسلام. . فالإسلام دين حب وتسامح وإخاء. . دين تقدم ورقى وحضارة. . دين سلام. . وعلم. . ولكن العيب دائمًا كان فى السياسة حين لا يكبحها قيم الدين ومبادئه. . !

ولقد ذهب الإمام الحسين ضحية الأهواء السياسية لبنى أمية!

فقد تنكر معاوية للعهد الذى قطعه للحسن على أن يؤول إليه الأمر بعده كما يقول البعض أو أن يرجع الأمر شورى بعد معاوية ويختار الناس من يشاءون. . فإذا بمعاوية يحول الخلافة إلى ملك عضوض. . مما آثار حفيظة الإمام الحسين، وبعض أبناء كبار الصحابة كعبد الله بن الزبير الذى قام بثورته بعد استشهاد الإمام الحسين. . وضم إلى الحجاز مصر والعراق واليمن، وبعض أماكن من الشام نفسها. . وعادت الدماء. . والضحايا والإشلاء. . وانتهت بمصرعه هو الآخر. . بعد ضرب الكعبة نفسها بالمنجنيق على يد الحجاج بن يوسف الثقفى!

و . . الإسلام برىء من الدم والضحايا والأشلاء ولكنها الأهواء السياسية كما قلنا. .

و . . سيظل دم الحسين . .

و . . موقف السيدة زينب من المواقف الخالدة فى سجل التاريخ الإسلامى . . مواقف أناس وضعوا رءوسهم على أكفهم من أجل المبادئ . . والقيم . . وكل فضائل الإسلام . . وكل ما جاء به النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام، ووالد الحسن والحسين وزينب رضى الله عنهم كانوا فى قدوتهم بالرسول عليه الصلاة والسلام يتمثلون بقول والدهم الإمام على كرم الله وجهه.

«كان رسول الله ﷺ، أحب إلينا من أموالنا، وأولادنا، وآبائنا، وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ».

رضى الله عنهم . . فهم أهل البيت . . الذين طهرهم الله سبحانه وتعالى من الرجس:

﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

«صدق الله العظيم»

المراجع

* القرآن الكريم
* تفاسير القرآن الكريم

- جامع البيان — للطبرى
- تفسير غرائب القرآن — للإمام النيسابورى
- التفسير الكبير — للفخر الرازى
- تفسير القرآن العظيم — لابن كثير

* كتب الأحاديث الصحيحة:

- الإصابة فى تمييز الصحابة — لابن حجر العسقلانى
- تاريخ الخلفاء — للسيوطى
- فتوح البلدان — للبلاذرى

* حياة محمد — دكتور/ محمد حسين هيكل
* خاتم النبيين — الشيخ/ محمد أبو زهرة
* سيرة النبى العربى — أحمد التاجى
* تاريخ الخلفاء — للسيوطى

* **نوادر الخلفاء**	محمد دياب الأتليدى تحقيق أيمن عبد الجابر البحيرى
* **على إمام المتقين**	عبد الرحمن الشرقاوى
* **سيد الشهداء الإمام الحسين**	موسى محمد على
* **فاطمة الزهراء والفاطميون**	عباس العقاد
* **معاوية بن أبى سفيان**	عباس العقاد
* **أبوالشهداء الحسين**	عباس العقاد
* **رجال حول الرسول**	خالد محمد خالد
* **أبناء الرسول فى كربلاء**	خالد محمد خالد
* **الفتوحات العربية الكبرى**	جلوب، ترجمة خيرى حماد
* **مساجد مصر**	دكتورة/ سعاد مجاهد
* **مع الأبطال**	محمد رجب البيومى
* **العصر الأموى: موسوعة سفير**	د/عبدالشافى محمد عبداللطيف
* **محمد (ﷺ): المثل الكامل**	محمد أحمد جاد المولى بك
* **الإمام الحسين: حياته واستشهاده**	مأمون غريب

كتب للمؤلف: عن مركز الكتاب للنشر

١ - خلافة أبوبكر الصديق.
٢ - خلافة عمر بن الخطاب.
٣ - خلافة عثمان بن عفان.
٤ - خلافة على بن أبى طالب.
٥ - حجة الإسلام الإمام الغزالى.
٦ - العوالم الخفية والقرآن الكريم.
٧ - أبطال الجهاد فى الإسلام.
٨ - المهاجرون إلى الله.
٩ - أولو العزم من الرسل.
١٠ - الإمام الحسين حياته واستشهاده.
١١ - نساء فى حياة الأنبياء.
١٢ - إبحار فى ملكوت الله.
١٣ - عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين.
١٤ - بطلة كربلاء السيدة زينب رضى الله عنها.
١٥ - بلغة العصرية أجمل قصص ألف ليلة وليلة .

الفهرس

رقم الإيداع
٩٩/١١٠٨٤
I.S.B.N.
977 - 294 - 153 - 8

مطابع آمون
٤ الفيروز من ش إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٣٥٤٤٥١٧ - ٣٥٤٤٣٥٦